الأخوان فليفل... سيرة تُروى

عبد الفتّاح خطاب



"الأخوان فليفل ... سيرة تُروى"

إعداد

عبد الفتاح خطاب

صورة الغلاف من تصميم الأستاذ علي غلاييني

www.facebook.com/ALIGLINI aliglini@hotmail.com 00961 3 919 470

مُقدِّمة

اشتهر "الأخوان فليفل"، محمد وأحمد، نجما بيروت اللامعان، بتلحين الأناشيد الوطنية العربية، حماسةً تُشعل القلوب، ودعم الحركة العربية الناهضة بألحانٍ وتأليف كلماتٍ تُعانق السماء، واناشيد تربوية للأطفال، تزرع في النفوس بذور الغد.

مساهمتهما واسعة كالبحر، وريادتهما واضحة كالنجم في ليلة صافية، انطلقا من بيروت، في رحلة فنٍّ وإبداعٍ عبر الأجيال، إلى رحاب الذاكرة العربية الجماعية، حيث يرنّ صوتهما أبد الدهر.

بدأت علاقتي بـ"الأخوين فليفل" من أيام الشباب اليانع، تلميذاً في الستينات في ثانوية المقاصد – الحرج ببيروت، زميلاً لأسامة محمد فليفل، وسمير أحمد فليفل، اللذين صارا طبيبين مرموقين في فرنسا.

التحقتُ بفرقة الإنشاد تحت إشراف الأستاذ الكبير محمد فليفل، نتدرّب في منزلهم في الطريق الجديدة بالقرب من مستشفى المقاصد، ونسجّل الأناشيد في استوديوهات الإذاعة اللبنانية، صدىً يتردّد في أروقة الزمن.

تعرّفت على أفراد عائلة الأستاذ الحاج محمد فليفل، وتفاعلت مع الموسيقي والملحن الأستاذ سليم (رحمه الله)، الذي تعاون مع والده وعمه في تلحين ألحان انتشرت كالنسيم في لبنان والوطن العربي، فأطلق الثلاثة على أنفسهم لقب "الأساتذة فليفل" بدلاً من

"الأخوين"، تتويجاً لإرث مشترك. كما تعرّفت على حسان (رحمه الله)، الذي أصبح فيما بعد عميد ركن في الجيش، وجمال (رحمه الله)، الذي برز مهندساً كهربائياً بارعاً. وما زلت على تواصل مع العزيز أسامة رغم ظروف الحياة وتباعد المسافات.

ولي الشرف أن استضافتني العائلة مراتٍ عدة، في دارتهم الصيفية برويسات صوفر، حيث يهمس النسيم بأسرار الجبال، وقد أكرمتني الحاجة الفاضلة السيدة أم سليم بالرعاية والاهتمام.

وأيضاً، أعتزّ أن "الأخوين فليفل" ولدا ونشآ في محلة الأشرفية (حي بيضون)، حيث تنتمي روحي، جذوراً عميقة في تراب الوطن.

ختاماً، هذا الكتاب يحمل نخبةً من الكتابات والمقالات المعاصرة لكتاب من عدّة بلدان عربية، تُلقي أضواءً ساطعة على تاريخ "الأخوين فليفل" وتراثهما، وتأثيرهما الثقافي الذي يتدفّق كالنهر في وديان الأمة.

يُشرّفني ويُسعدني، أن أضع بين يديكم كتاب "الأخوان فليفل ... سيرة تُروى"، وهي سيرة تستحق، بكل المقاييس والمعايير والأزمان، أن تُروى وتنتشر. أعددته بقلبي ومشاعري أولاً، ثم بعقلي وقلمي، لأذكّر بإنجازات هذين الرائدين العظيمين، في غوصٍ عميق بذكريات الأيام الحلوة الرائعة ... ليتها تعود، كحلمٍ يزورنا في ليالي الشوق.

عبد الفتاح خطاب

عتابٌ للوطن: هل هكذا نكرّم الأخوين فليفل؟

عبد الفتاح خطاب

لا يسعني إلا أن أعبر عن عميق أسفي، وشديد استيائي، من تقاعس الجهات الرسمية عن تكريم «الأخوين فليفل» على مدى عقود.

استيقظ مجلس بلدية بيروت متأخّراً جداً، فلم يقرّر تكريم الأخوين فليفل إلا في جلسته بتاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٩٨، حين أطلق اسم «الأخوين فليفل» على أحد شوارع منطقة الملعب البلدي، بدلاً من اسمه السابق «شارع فليفل».

غُيّرت اللوحات فيما بعد، لكن، وللأسف الشديد، كُتب على لوحة الجدار «الأخوين فليفل» (بالواو)، بينما جاءت اللوحة المرورية مكتوبة «الأخوان فليفل» (بالألف)!

بعد أن نشر العميد المتقاعد خالد جارودي منشوراً ساخراً على صفحته في فيسبوك بتاريخ ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٨، انتبه المعنيّون، فهرعوا لمعالجة الخطأ ... بأسلوب لبناني أصيل:

تركوا الاسم على الآرمة على جدار المبنى، أزالوا اللوحة المرورية القديمة، ثم ركّبوا لوحة مرورية بيضاء فارغة تماماً (بلا اسم) لا تزال تتربع في مكانها حتى اليوم!

ولم يكتفِ التخبّط عند هذا الحدّ!

ففي "دليل شوارع بيروت أم الشرائع" الذي أصدرته بلدية بيروت بالتعاون مع "دار ألف باء للإنتاج والنشر" عام ٢٠١٦، ورد اسم الشارع في الصفحة الخامسة: "الإخوة فليفل" (بصيغة الجمع العادي)!

وللدقّة أكثر: في "دليل مدينة بيروت" الذي أشرفت عليه البلدية أيضاً بالتعاون مع شركة "آرابيا جي إي إس" عام ٢٠٠٤، كُتب الاسم: "الأخوين فليفل" (بالمثنى هذه المرة)! أي أن الشارع الواحد حصل على مر الزمن، على ثلاث صيغ مختلفة في الوثائق الرسمية نفسها: الأخوان، الأخوين، والإخوة!

والأنكى أن معظم الخرائط الإلكترونية وتطبيقات الملاحة لا تزال تحمل الاسم القديم " شارع فليفل" حتى اليوم.

تكريم متأخر، منقوص، ومنفَّذ بفوضى واضحة ... فهل هكذا نكرّم رائدَي الموسيقى اللبنانية والعربية اللذين أثريا تراثنا الوطني بألحان وكلمات خالدة؟!

وأود أن أشير، في إشارة عابرة، إلى أن سوريا كرّمت الأخوين فليفل بتسمية أحد الطرق السريعة في حي المأمونية بدمشق باسميهما.

وأُلفت النظر أيضاً إلى غياب أي مبادرة رسمية لإقامة نصب تذكاري يليق بهما، أو إصدار طابع بريدي يُخلِّد إرثهما العظيم.

الوطن لا يعيش بجدرانه وحجارته فحسب، بل بقاماته وروّاده. والتقصير في تكريمهم هو في الحقيقة انتقاص من تاريخ الوطن ومنجزاته كلها.

Khaled Jaroudi

Oct 30, 2018 ·

يا إخوان

إعتمدوا.!!!!!!!

التصحيح من صلاحية أي سلطة؟



قبل: في ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٨



وبعد: في ٢١ تشرين الثاني ٢٠٢٥

شكر وتقدير

المُخرج محمد كريّم (لبنان)

الفنان محمود الزيباوي (لبنان)

الدكتور محمد أمين فرشوخ (لبنان)

الدكتور فاروق الجمّال (لبنان)

المحامي زكريا الغول (لبنان)

الكاتب والناقد الياس سحاب (لبنان)

الكاتب محمد حجيري (لبنان)

الكاتب هيثم أبوزيد (مصر)

الكاتب عبد الله المدني (السعودية)

الكاتب وفيق الهوشي (سوريا)

الباحث في التراث الغنائي زياد عساف (الأردن)

الأديب والناقد أحمد الواصل (سعودي)

الباحث عبد الحسين شعبان (العراق)

الإعلاميّة أماني عوّاد (فلسطين)

العميد المتقاعد الموسيقي جوزيف البدوي (لبنان)

الناقد والصحافي السينمائي خليل حنون (لبنان)

"عرَب - جمعية عربية للموسيقى"

الشاعر هنري زغيب مدير

"مركز التراث اللبناني" في الجامعة اللبنانية الأَميركية

مقالات مُختارة

أضواء على سيرة الأخوين فليفل

المُخرج محمد كريّم
ندوة "مركز التراث اللبناني" في الجامعة اللبنانية الأميركية
١ كانون الأول ٢٠١٤

عَلَمان مضيئان في حياتنا الفنية والوطنية في لبنان، ورائدان ابتدعا لوناً من الموسيقى كان من أمضى أسلحة التحرر الوطني. سجَّلَ لهما تاريخ الفن في العالم العربي فضل الريادة وشرف الإبداع: هذان هما محمد وأحمد فليفل.

فما هي المفاصل الأساسية في سيرتهما الفنية والوطنية.

١ـ النشأة

ولد الأخوان فليفل في ناحية الأشرفية من بيروت، الشقيق الأكبر محمد عام ١٨٩٩ وأخوه أحمد عام ١٩٠٦. تلقّيا مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في كُتّاب الشيخ مصباح دعبول في الأشرفية، وعلومهما الأولية في مدرسة المقاصد الأولى (دار النجاح)، ثم التحقا بدار المعلمين التركية وتعلّما فيها العزف على آلات موسيقية مع الفنان التركي يوسف أفندي.

وسط أنغام تواشيح وقصائد دينية وأجواء تراثية أصيلة تتردد أصداؤها في جنبات المنزل، ترعرع الولدان وتفتحت موهبتهما الموسيقية تجلى ولعهما المبكر بها فتعلّقا بفرق موسيقية عسكرية عثمانية كانت تجوب شوارع بيروت تعزف الألحان العسكرية، ينتظران بفرحٍ ولهفةٍ مرورها أمام منزلهما الأبوي.

ولم يكتفيا بالمشاهدة بل كانا أحياناً يرافقان تلك الفرق في ذهابها وإيابها إلى حي السيوفي حيث تعزف المقطوعات الموسيقية والمارشات العسكرية التركية. ومن تعلقهما بهذه الفرق ألَـحّا على والدهما لاصطحابهما إلى حدائق عامة في ضواحي بيروت ليتمتعا بما كانت تعزفه أسبوعياً من ألحان كل جمعة وأحد في منشية فرن الشباك وجنينة جسر الباشا في حضور المتصرف العثماني شخصياً.

في تلك المرحلة تفتحت لدى الأخوين براعم التذوق الفني، بذرةً أُولى في تَشَكُّل وعيهما الموسيقي. فتلك الأجواء الموسيقية العسكرية وما كانت تقدمه فرق موسيقية أخرى تعرّفا لاحقاً إليها وأُعجبا بجمال عزفها، زادت تعلقهما بالموسيقى العسكرية وحددت مسارهما.

في مطلع القرن العشرين كان لبنان رازحاً تحت وطأة الحكم العثماني، ويعاني كسائر البلاد العربية من ويلات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، ما أَوهَنَ البنية الاقتصادية وأثّر سلباً على مستوى معيشة اللبنانيين. سيق الشباب إلى التجنيد الإجباري، وعمّت المجاعة المدن والقرى اللبنانية، وتفشت الأمراض وفتكت باللبنانيين، وأصاب الفقر معظم المواطنين إلا فئة ضئيلة ميسُورة.

في تلك الظروف المعيشية الصعبة اقتحم الأخوان محمد وأحمد فليفل ميدان الفن تحفزهما موهبتهما الفطرية، فسارا في درب محفوف بالمخاطر غير مأمون النتائج. وفيما كان اللبنانيون يبحثون عن مهنة تؤمّن لهم لقمة العيش اتجه الأخوان صوب الموسيقى يتعلمون فنونها ويحلمون بإنشاء فرقة موسيقية زمَنَ ندر العازفون وعزّت فيه آلات العزف. ولم يكن سلوك درب الفن يسيراً فترتئذٍ، بل يتطلب إرادة وعزماً وتشجيع المجتمع الذي

يعيشون فيه، ودعمَ أهل كانوا بمعظمهم يربأون بأولادهم أن يحترفوا مثل هذه المهن "الوضيعة"، حسب رأيهم. كان المجتمع ينظر إلى الفنون عموماً، والتمثيل والموسيقى والغناء خصوصاً، نظرة ذات كثير من الشك والارتياب. لكن الأخوين فليفل، بمضاء عزيمتهما وعمق إيمانهما بدور الموسيقى في رقيّ الأمم، تحدّيا المعوقات ودرسا الموسيقى وفنونها دون حساب التضحيات المطلوبة فحقّقا أهدافهما ولعبا دوراً وطنياً هاماً بإبداعهما فناً راقياً: الأناشيد الوطنية.

كانت الدولة العثمانية تُوْلي الموسيقى العسكرية عناية خاصة، تدريباً وتجهيزاً وحشد إمكانات مادية وكفاءات، وتعتبرها من مظاهر عظمة السلطنة، فانتشر صيت فرقها شرقاً وغرباً، وأقبل عليها اللبنانيون متتبعين خطاها يتمتعون بمعزوفاتها الشجية المتقنة. وكذا كان حال الأخوين فليفل.

إقامة محمد فليفل في اسطنبول أتاحت له التعمق بفن الموسيقى العسكرية وتنويعاتها واستهوته الألحان التركية القديمة وبهرته موسيقاها، وكانت اسطنبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية على مستوى عالٍ من الحضارة والتقدم. وحين عاد إلى بيروت صمم على إنشاء فرقة موسيقية ولو ضمن إمكانات محدودة.

وكان أخوه أحمد يتابع في بيروت دراسته الموسيقية ويُعدّ لتأسيس الفرقة الحلم، فلم تخبُ من ذاكرة طفولة الأخوين ذكرى فرق موسيقية عسكرية كانت تجوب شوارع بيروت بل كانت تفاصيلها باقية ومعالمها واضحة فتكبر معها آمالهما. انتهت الحرب وعاد محمد ملازماً من اسطنبول، فقرر الأخوان إنشاء فرقة سَعَيَا إلى تكوينها رغم العقبات.

سنة ١٩٢٣ حققا الحلم فأسسا فرقة موسيقية ذات ٢٦ عازفاً من الشباب اللبناني، اشتريا لها آلات النفخ والإيقاع من مالهما الخاص وأسمياها "فرقة موسيقى الأفراح الوطنية"، أخذت تشارك في احتفالات المدارس والجمعيات الأهلية ومناسبات رسمية. وكانت تطوف شوارع العاصمة في مناسبات وطنية وأعياد دينية، مُسبغةً بهجة وفرحاً عند المحتفلين وسائر المواطنين، فسعُد الناس بهذه الفرقة التي تضم أولادهم وأقرباءهم، وتقدم أعذب الألحان العربية والمحلية والعالمية. وسعد الأخوان فليفل بتحقيق هذا الإنجاز الحلم الذي طالما راودهما، وأدخلا البهجة إلى قلوب مواطنيهم.

كانت الفرقة تشيع جواً مبهجاً في جنبات المدينة أينما سارت. وخلال طوافها في شوارع العاصمة كانت النساء يطللن من الشبابيك والشرفات ينثرن حبات الأرز على أفراد الفرقة أو يرشونهم بماء الزهر، تدليلاً على تقديرهن واعتزازهن بهم. وكان أصحاب الحوانيت يقفون أمام أبوابها، هم وزبائنهم، ليصفّقوا للفرقة ويحيّوا أفرادها ويشجعوهم بكلمات الود والإعجاب، وتبقى الفرحة الكبرى للأولاد والفتيان الذين كانوا يتبعونها في تنقلاتها الداخلية من شارع إلى شارع ومن حي إلى حي.

٢- موسيقى الدرك

سنة ١٩٤٢، وفي عهد الرئيس ألفرد نقاش، دعيت فرقة "جيش الشرق" للمشاركة في استقبال شخصية أجنبية فاعتذرت لأسباب خاصة. استعانت الحكومة اللبنانية بفرقة "الأفراح الوطنية" المجهزة تجهيزاً كاملاً والمدرَّبة تدريباً ممتازاً، فأثارت إعجاب الجميع، ما شجع قائد الدرك الكولونيل سليمان نوفل على الطلب من حكومة الرئيس سامي الصلح تأسيس فرقة موسيقية خاصة بالدرك اللبناني وتكليف أحمد فليفل أستاذ الموسيقى وأخيه محمد

أستاذ الرياضة في المدارس الرسمية، تَوَلّي شؤونها وتنظيمها وتدريب أفرادها طبقاً للقوانين والنُّظُم العسكرية.

وفي ١٦ حزيران ١٩٤٢ تمت الموافقة على إنشاء الفرقة فتألفت من ٤٥ عنصراً بصفة موسيقيين مدنيين، يتمرنون نهاراً على العزف والتمارين العسكرية في ثكنة الدرك بألبستهم المدنية، وينامون ليلاً في بيوتهم، على أن يرتدوا الثياب العسكرية عند الاشتراك بالحفلات الرسمية والعسكرية، ويتقاضوا راتباً من خمس وأربعين ليرة لبنانية بما فيه قيمة استهلاك آلات موسيقية قدمتها "فرقة الأفراح الوطنية" بدون أي تعويض، وأُلغي اسمها القديم وأصبح "فرقة موسيقى الدرك".

٣- الأناشيد الوطنية والقومية

حفلت البلدان العربية في مطلع أربعينات القرن العشرين بأحداث تنذر بالانفجار: فلسطين تحت انتداب بريطاني يمهّد لاستيعاب اليهود في فلسطين ويسهّل لهم إقامة الوطن القومي الصهيوني. ولم يكن الوضع السياسي أفضل في سوريا ولبنان والعراق ومصر. ازداد تململ اللبنانيين وسائر العرب من ضغط الاحتلال ومساوئه، وراح رجال البلاد وزعماؤها يؤمُّون المحافل الدولية يطالبون بالاستقلال وبخروج الجيوش الأجنبية.

أمام مماطلة المستعمر ارتفعت وتيرة الضغط الشعبي وخرجت الجماهير إلى الشوارع تعبّر عن استنكارها، وجابت الشوارع تظاهرات وطنية في عواصم عربية تدعو المستعمر إلى الرحيل وتطالب بالاستقلال الناجز.

في هذا الجو السياسي المشحون بالغضب، وأمام حالة الغليان هذه، وجد الأخوان فليفل نفسيهما مساقين بل مطالبين بضخ المزيد من أناشيدهما التي تذكي الروح الوطنية وتُعَبئها للوقوف في وجه الاحتلال، فعكفا على تلحين عدد كبير من الأناشيد الوطنية لشعراء كبار أمثال: الأخطل الصغير، ابراهيم طوقان، سعيد عقل، عمر أبو ريشة، معروف الرصافي، أمين تقي الدين، شبلي الملاط، سابا زريق، عبد الحليم الحجار وفخري البارودي. وفي مرحلة لاحقة لجورج غريب ونسيم نصر ومحمد يوسف حمود وسلام فاخوري وشفيق جدايل ووديع عقل وآخرون.

كان الأخوان فليفل يعرفان كيف يختاران أشعار أناشيدهما وكيف يوقّعان معانيها لتهز المشاعر بأناشيد يلبسانها ألحاناً حماسية تعبّر عن قيَم وطنية تزخر بها، كما في نشيد "موطني" لإبراهيم طوقان:

الشبابُ لن يَكِلاّ   همُّهُ أن تستقلاّ   أو يَبيد
نستقي من الرَدى   لن نكونَ للعِدى   كالعبيد

وفي نشيد "نحن الشباب لنا الغدُ" أطلق الشاعر بشارة الخوري صرخة مدوية:

شعارُنا على الزَمَنْ   عـاش الوطنْ
بِعنا له يومَ المِحَنْ   أرواحَنا بِلا ثمنْ

هذه المعاني والكلمات ومثلها الكثير حفلت بها أناشيد فليفل وأثارت في النفوس الشابة الحميّة والحماسة، وحرَّكت الروح الوطنية التواقة للحرية والاستقلال، كما في "النشيد القومي" للأخطل الصغير:

فإذا دقَّ النفيرْ   نملأُ الدنيا زئيرْ   وحديداً ودخان

ولعلم البلاد لحّن الأخوان فليفل من شعر سابا زريق:

رمزُ القِدَمْ نفحُ الشَمَمْ   مُحيي الهِمَمْ   هذا العلم
علمَ المجدِ القديمْ   بسمةَ الفخرِ العميمْ
تِه بآفاقِ السُعودْ   عالياً بين البنودْ
نحن في اليوم العصيب   لكَ شُبَاناً وشيبْ
بقلوبٍ من مَضَاءْ   ونفوسٍ مِن إباءْ
دُمْ لنا للوطنْ   يا علم.. يا علم

وغنّى العرب من ألحانهما بشعر فخري البارودي نشيداً أثار في النفوس العزة وفخر الانتماء:

بلادُ العَرْبِ أوطاني   من الشامِ لِبَغْدانِ
ومن نَجْدٍ إلى يَمَنٍ   إلى مصرَ فتطوانِ

وفي لبنان كان نشيد "الفخرُ في بلادنا" لعبد الحليم الحجار نشيداً وطنياً جامعاً كل التيارات السياسية والتظاهرات الوطنية، فكان المتظاهرون ينشدون بحماسة وتحدٍّ:

الفخر، في بلادنا   والعزُّ في اتحادنا
وعن ذُرى أطوادِنا   والأرزِ لا تسلْ
حبذا لبنان   جنةُ الخلودْ
مهبطُ البيان   تُربةُ الجدودْ
يا بني الأوطان   عصبةَ الأُسود
إذا دعا داعي الحمى   يُثيرُ فينا الهِمَما
وسالت الأرضُ دَما   ورُوّعَ الجبل
أسرجوا الخيولْ   واقرعوُا الطبول
واقحموا السهول   واحرسوا الجبل.

وكان نشيد "في سبيل المجد" لعمر أبو ريشة صوت المناضلين في سجون الاحتلال ونشيد السياسيين ورجال الفكر في المعتقلات، كما كان يُغنى في مختلف المناسبات الوطنية:

في سبيلِ المجدِ والأوطانِ نَحيَا ونَبيدْ
كلنا ذو همةٍ شماءَ جبارٌ عنيد
لا تُطيقُ السادةُ الأحرارُ أطواقَ العبيد
إن عيشَ الذُلِّ والارهاقِ أولى بالعبيد
لا نهابُ الزمنْ إن سقانا المِحَنْ
في سبيلِ الوطن كم قتيلٍ شهيد
قد صَبَرنا فإذا بالصبرِ لا يُجدي هُدى
وحلُمنا فإذا بالحِلم يودي للردى
فنهضنا اليومَ كالأطوادِ في وَجْهِ العِدى
ندفعُ الضيمَ ونبني للعُلى صرحاً مَجيد.

أخذت السلطات الفرنسية المنتدِبة تنزعج من أناشيد للأخوين فليفل أحدثت تياراً متمرداً ثائراً اتسعت دائرته مع الأيام.

اندلعت المواجهة الأولى سنة ١٩٤٠ عندما أطلقا من كلية الحرج (التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت) نشيد "العُلى للعربِ" من نظم عبد الحميد زيدان (أستاذ منتدَب من مصر لتدريس العربية في مدارس الجمعية)، وفيه تقول كلمات النشيد:

العُلى للعربِ الأُباةِ النُجُبِ
فلتكن خطوتنا فوق هامِ الشُهُبِ
من يثربٍ أو جِلّقِ طافَ الهدى في فَيْلَقِ
بالغَربِ بعد المَشرِق فلنُحيي عهدَ العَرَبِ

باتّحادِ الكَلِمِ وائتِلافِ الهِمَمِ
فاعتلاءُ القمم من سجايا العربِ
الدهرُ دارت دورتُهْ والمجدُ حانتْ عودتُهْ
قد اسمَعَتْنا دعوتُه لبيكَ مجدَ العربِ.

وأخذ صوت الطلاب المتّقد بالحماسة يهدر كل صباح بهذا النشيد، فتنبَّه إليه المفوض السامي الفرنسي في قصر الصنوبر القريب من مبنى الكلية. طلب ترجمة كلمات النشيد، وحين اطّلع عليها غضبَ وطلب من مدير الأمن العام الفرنسي طرد الأستاذ زيدان من لبنان وإعادته إلى بلده، وهدد الأخوين فليفل بالسجن أو النفي إذا لم يتوقفا عن تلحين مثل هذه الأناشيد.

لكنهما لم يتوقفا عن تأدية واجبهما الوطني فطلب المفوض السامي الفرنسي من وزير المعارف نجيب أبو صوان الاستغناء عن خدماتهما كأستاذين في المدارس الرسمية. وصادف صرفهما من العمل استقالة الحكومة وتشكيل حكومة جديدة برئاسة أوغست باشا أديب حلّ فيها مؤسس "النهار" جبران التويني وزيراً للمعارف، فأعاد للأخوين فليفل اعتبارهما بإعادتهما إلى وظيفتيهما.

٤ـ أغاني الأطفال

تنبّه الأخوان فليفل مبكراً لفوائد وتأثير الأغاني والأناشيد على العملية التربوية والتعليمية والنفسية فتوجَّها إلى هذا اللون وأنتجا كمّاً كبيراً منه في مواضيع تثير اهتمام الطفل منطلقين من مفاهيم وأسس تربوية علمية سليمة، فكانا رائدين في هذا المجال في العالم العربي. وكان لهما، منذ الثلث الأول للقرن العشرين، اهتمام مبكر بالنواحي التربوية لدى الناشئة، في أغانٍ وأناشيد للأطفال ذات

مواضيع تربوية مختلفة: من التربية الوطنية إلى التربية المدنية إلى الأخلاقيات إلى مواد ترفيهية، كلُّها لتنشئتهم تنشئة سليمة.

تلك الأغاني والأناشيد ترافقت مع نهضة تربوية سعى إليها مربون لبنانيون مختصّون في كتب مدرسية أعدوها مع فجر الاستقلال للمدارس الرسمية لمراحل الحضانة والابتدائية والتكميلية. فتضمنت سلاسل كتب القراءة باقة أشعار تلك الأغاني مادة استظهار ومحفوظات ساهمت في ترسيخ أهداف وتعاليم أخلاقية ووطنية وتربوية رمى إليها المؤلفون في أذهان التلاميذ، تطابقت مع نصوص مختارة ورسوم معبّرة زُينت بها تلك الكتب.

دافِعُ الأخوين فليفل لإنتاج هذا اللون الجديد من الأغاني في المحيط العربي أنهما مارسا التعليم وآلمهما تلقين المدارس الخاصة تلامذتَها الصغار أغانيَ أجنبية (فرنسية في معظمها) ذات ألحان جميلة وكلمات تتناسب ومداركهم، وهي أغان مشرقة تسعد الطفل وتهيِّئ له مناخاً تعليمياً مريحاً بينما أطفال آخرون محرومون من هذه المتعة. وجدا من واجبهما الوطني والتربوي اقتحام هذا الميدان وإنتاج أناشيد وأغان للأطفال عربية المبنى والمعنى والهوية، ذات شعر سلس عميق بمعانيه ودلالاته، ما يسهم في إغناء مدارك الطفل العربي والارتقاء به ذهنياً ولغوياً وجمالياً مع مراعاة الناحية الترفيهية.

بحثا عن شعر يخدم هذا الغرض في المحيط العربي، فوجدا الكتّاب والشعراء في بلادنا يترفعون عن الكتابة للأطفال معتبرين أن ولوج هذا الباب قصر على ذوي مواهب محدودة، فأدب الأطفال لا يوصل المؤلف إلى "المجد الأدبي". لذا بذلا جهداً للحصول على شعر مناسب.

أمام الرسالة التربوية والوطنية لأغاني الأطفال لم يرضيا بكلام ركيك فارغ المضمون، فسعيا إلى كلام راقٍ ذي أهداف تخدم تنشئة الأطفال على محبة الوطن وعلى المبادئ الخلقية القويمة والتربية المدنية الحقة.

اختارا بدايةً مجموعة أغانٍ وأناشيد لثلاثة أدباء اختصوا بأدب الأطفال: الشاعر المصري محمد الهراوي، المربي محمود باشو، والشاعر محمود ستيتية. ثم اتسعت الدائرة إلى شعراء كبار ومربين متمرسين.

كان محمد الهراوي من رواد شعر الأطفال: رؤيةً وعلماً وبُعدَ نظرٍ وأسلوباً رقيقاً واضحاً فوجد لديه الأخوان فليفل باقة قصائد تربوية للأطفال، اختارا منها نحو خمس عشرة أغنية: الطفلة ودميتها، أصحاب الحِرف، الفلاح، الهر الجميل، تحية المدرسة، ومنها أغنية "الكرة" التي اشتهرت بسلاسة الأسلوب وجمال الإيقاع:

أنتِ الكُرَهْ كالسُكَّرَهْ
هَذي يَدي هيّا اصْعَدي
دوري هنا عِندي أنا
مِنّي خُذي وبي احتَذي
يا كُرَتي
كرتي اسمعي قُولي معي
يا أُمَّنا نِلْتِ المُنى
يَحيا الوطن طولَ الزَمَنْ
سامي العَلَم بينَ الأُمم
يحيا الوطن.

وله أيضاً من إنتاجه الغزير المتنوع الطروحات والمواضيع الشعرية ذات الأخلاق التربوية:

يا معهداً علّمني وبالهُدى جمّلني
حلّيتني من صِغَري بكلِ خُلْقٍ حَسَنِ
كم فيكَ من معلمٍ بَرٍّ كثيرِ المِنَنِ
بعِلمْهِ زَوَّدَني بنُصْحِهِ أَرْشَدَني
تحيةً يا معهدي يا أصلَ عيشيَ الهَني
شأْتني مُبَارَكاً لأُمّتي وَوَطني.

ومن محمود باشو اختار الأَخوان نحو عشر أغانٍ: أخي الصغير، الهر والدجاجة، جمال لبنان، طابتي وهرتي، صياح الديك، بائع الأزهار وغيرها، ومنها هذه القصيدة التي هي لوحة بهية تتغنى بالوطن وبطبيعته الجميلة:

لنا وطنٌ رعاه اللهُ بالأرواحِ نفديهِ
جميلٌ في شواطِئِهِ جميلٌ في روابيهِ
فَجَنّاتٌ وأنهارٌ وأطيارٌ تُناجيهِ
ونبعٌ سَلْسَلٌ عذْبٌ غزيرُ الماءِ صافيهِ
نسيمٌ منعشٌ شافٍ لطيفٌ في ضواحيهِ
وثلجٌ مثل قلبِ الطفلِ تاجٌ في أعاليهِ.

واختارا له أيضاً قصيدة "الولد الشَرِه" كنشيد توجيهي مصاغ في قالب فكاهي ما يجعل العبرة أكثر رسوخاً في ذهن الأطفال لارتباط موضوع الأغنية بصورة فكاهية مضحكة:

زيدٌ ولدٌ شَرِهٌ نَهِمٌ، يهوى الأكلْ
يبكي دوماً هذا الطفلُ أمي، أمي، أينَ الأكلْ

أين الحلوى؟ أين الأكلْ
غافل يوماً أهلَ الدارِ
دخلَ المطبخَ مثلَ الفارِ
يبغي الحَلوى يبغي الأكلْ
فرأى قِدراً فوق النارِ
فيه عَدَسٌ سُخْنٌ يَغْلي
يغلي غلياً، هذا الأكلْ
ملأَ الصحنَ عَدَساً سُخْناً
لكنْ حَرَقَتْ وَكَوَتْ فمَهُ
هَذي الأكلةُ، هذا الأكلْ
فبكى وصرخَ: أمي، أمي
حرَقَتْ ذَقني ويَدِي وفَمي
هذي الأكلةُ، هذا الأكلْ
فأنا تائبُ منذ اليومِ
هذا النَهَمُ سببُ الألمِ
تؤذي المِعْدةَ فوضى الأكلْ.

ومن محمود استيتية انتقى الأخوان فليفل أغانيَ تخدم الغرض: من ترى ذا يا أخيَّ، الطفل والحياة والمدرسة، بائع الأزهار، من ترى هزّ السريرا، وأنشودة "الغرسة"، وهي من أوائل الأغاني التي تدعو إلى احترام البيئة:

غرسةٌ تراها   تزهرُ الغنى
من جنى ثراها   نقطفُ المُنى
شَجْرَةٌ مبارَكة   ما لها ثمنْ
زرعُها مُشَارَكة   يُسعِدُ الوطن
إخوتي اسمعوا   هاتفَ العملْ
ازرعوا، ازرعوا   نحصُدِ الأملْ.

ومن أناشيد التربية المدنية اختار الأخوان قصيدة "في الطريق" للدكتور عمر فروخ:

أنا أمشي في طريقي بهدوءٍ واعتدالِ
سائراً فوق رصيفٍ عن يميني أو شمالي
ليس في نصفِ الطريقِ
قد أرى يوماً رفيقي
فأحيّيه بعطفِ
وإذا سرت وإياه تكلمنا بلطفِ
تلك آدابُ الطريقِ
إن أتت سيارةٌ حِدتُ حالاً وانتبهتْ
وإذا جَاءَ قطارٌ قادِماً نَحْوي ابْتَعدتْ
خوفَ أخطَارِ الطَّريقِ.

ومن شعر الدكتور فروخ أيضاً قصيدة "جنينتي":

جنينتي صغيرةٌ لكنها مُزْدَهِرَه
فيها من الأزهار أنواعُ الورود العَطِرَهْ
فيها قُرُنْفُلٌ له رائحةٌ مُشتَهِرَه
ونرجِسٌ ذو أَرَجٍ في بُقَعٍ منتشرَه
بنفسجٌ بين الأقاحي ما أَحبَّ منظرَه
فزهرةٌ ظاهرة وزهرة مستَتِرَهْ.

ومن شفيق جدايل اختار الأخوان فليفل مجموعة: غزلان الوادي والراعي، العصفورة الباكية، الفتاة والبلبل، روضة الأطفال، هيا للوادي:

هيا، هيا للوادي   هيا للكَرمِ الهادي

يلقانا سربُ الأطيارْ		يروينا النَّبعُ الفَّوار
هيا للكَرْم الرَّيّانْ		ترعانا عينُ الرحمنْ.

واختارا قصائد توجيهية للأطفال من كبار الشعراء، كما قصيدة "جدتي" لأحمد شوقي:

لي جدة ترأفُ بي، أحْنَى عليّ مِنْ أبي
وكلُّ شيء سرّني، تَذْهَبُ فيه مَذْهَبِي
إنْ غَضِبَ الأَهْلُ عليَّ كلُّهم، لمْ تغضبِ
مشى أبي يوماً إليَّ، مشيةَ المؤدِّبِ
غضبانَ قد هدّدَ بالضربِ، وإن لم يَضْرِبِ
فلم أجدْ لي منهُ غيرَ جدتي، من مَهْرَبِ
فجعلتني خلفها، أنجو بها وأختبي
وهي تقول لأبي، بلهجة المؤنِّبِ
ويحٌ له، ويحٌ لهذا الولدِ المعذَّبِ
ألمْ تكنْ تصنعُ ما يصنعُ، إذ كنتَ صَبي.

ومن الشاعر معروف الرصافي اختار الأخوان فليفل أربع قصائد للأطفال، منها قصيدة "تلميذ ونجار"، وهي دعوة مبكرة تُعلي من شأن المِهن وتحثُّ على التوجه نحوها واحترامها، رداً على مفاهيم كانت سائدة في مجتمعات عربية كانت تنظر إلى المهن نظرة دونية:

أنا في الصبح تلميذٌ		وبعد الظهرِ نجّارُ
فلي قلمُ وقِرطاسٌ		وإزميلٌ ومِنْشارُ
وعِلْمي إن يَكنْ شرَفاً		فما في صَنْعتي عارُ
فللعُلَماءِ مرتبةٌ		وللصُنّاعِ مِقْدارُ.

ومن أحب الأغاني إلى قلوب الأطفال أغنية "الجزرة" المضحكة (تأليف وتلحين الأخوين فليفل) كان يمثِّلها التلامذة منشدين، ومن إطارها التمثيلي الفكاهي مرّر الأخوان فليفل رسالة تربوية عن فائدة التعاون وكيف به يستطيع الإنسان التغلب على المصاعب. يقف الأطفال صفاً واحداً مُمْسكاً بعضهم ببعض وهم يغنون:

زرعنا جزرة، في وسْط البستان، سقاها أبي، عاشت في أمان
كَبُرَت في حجمها، عَظُمَتْ في جذعها، أتى ليقلعها، لم يقدرْ لها
فرأتهُ أمي جاءت بِعَجَل، أمسكته بنشاط من غير كَسَلْ
أمي أمسكت أبي، أبي أمسك الجزرة، شدّوا، شدّوا، لم يقلعوها.

تراهم الأخت فتأتي مُحاوِلةً المساعدة، يليها الكلب ثم الهرة، يحاولون اقتلاع الجزرة فلا يقدرون. أخيراً يأتي الجرذ فيُمسك بالجميع، ويتابع الأطفال غناءهم:

جُرذ أمسك هرّي، هري أمسك كلبي، كلبي أمسك أختي
أختي أمسكت أمي، أمي أمسكت أبي، أبي أمسك الجزرة
شدّوا، شدّوا، فقلعوها.

ومع اقتلاع الجزرة يقع الأولاد أرضاً من فرط الشد وقوة القلع، فتشيع الأغنية وحركتُها جواً من البهجة بين التلامذة المشاركين في أداء الأغنية وبين التلامذة المشاهدين على حد سواء.

ولحّن الأخوان فليفل لكامل كيلاني (أشهر كاتب قصص أطفال يومها) وأديب فرحات ورشاد دارغوث وغيرهم، أغنياتٍ وأناشيد تطرح قيماً أخلاقية وتربوية واجتماعية ودينية.

كما كتب الأخوان ولحّنا نحو خمسين أغنية ونشيداً ذات مواضيع متنوعة، أكملا بها النقص الحاصل في ريبرتوار أغاني الأطفال، منها: عصفوري الجميل، الغريب المشرد، التضامن والاتحاد، أخي الصغير، يا مطحنتي، الأرنب الصغير، الموسيقى والعصفور، صبايا الوطن، ليلة السبت عشيّة، مين اللي بيدق الباب، هيا نلعب، الأرنب الصغير، الوردة، وسواها، منها أغنية "الموسيقى والعصفور" كانت أسلوباً تربوياً حديثاً ومبتكراً في تعليم الموسيقى للأطفال والتمتع بأجوائها، وصدف أن صدرت شبيهة لها بعد أكثر من ثلاثة عقود في الفيلم الأميركي "صوت الموسيقى". جاء في أغنيتهما التي اتخذت من السلم الموسيقي منطلقاً لها:

دو، دو، دُم يا عصفوري في داري
ري، ري، ريش يا دوري كُن جاري
مي، مي، مشى فرحانَ شاكرا
فا، فا، فوقَ الأغصان طائِرا
صول، صول، صارَ يغني قائلا
لا، لا، لما رآني مُقبلا
سي، سي، سر للنجاح كالأسد
دو، دو، دُم بانشراحٍ يا ولد
غني واطربْ واسرحْ والعبْ مثلي يا صغير
للحريةْ في البريةْ للروضِ النَضيرْ.

تلك نماذج من قصائد الشعراء اختارها الأخوان فليفل لإسعاد الأطفال وخدمة الأهداف التربوية، فالتحية لهما على نظرة استشرافية رائدة لدور الفن في تنشئة الأطفال في بلادنا، وعلى دور رائد أدياه على الصعيد التربوي، فضلاً عن دورهما الوطني الـمُشَرِّف.

الأخوان فليفل واللحن الثائر

الفنان محمود الزيباوي

صحيفة النهار، ١١ تشرين الأول ٢٠١٤

بعد الغزو الأميركي للعراق، اعتمدت السلطة العراقية الناشئة في العام ٢٠٠٣ نشيد "موطني" نشيداً وطنياً جديداً لدولة العراق. شاع هذا النشيد شيوعاً واسعاً، وخرج بتوزيعات موسيقية عدة، وأدّاه أكثر من مطرب، وهو في الأصل نشيد "فلسطيني"، كتبه إبراهيم طوقان ولحّنه الأخوان محمد وأحمد فليفل في ثلاثينات القرن الماضي. أعاد هذا العمل إلى الذاكرة عدداً من الأناشيد الشهيرة التي حملت توقيع الأخوين فليفل، غير أن أحداً لم يفكر في توثيق هذه الأعمال وتأريخها بشكل علمي.

شاع نشيد "موطني" من جديد، وما لبث أن صار على كل شفة ولسان، كما كان في الماضي القريب. لا ينفصل هذا النشيد عن سلسلة الأعمال الحماسية التي راجت في بلاد المشرق العربي بوجه خاص، مثل "نحن الشباب" و"الفخر في بلادنا" و"في سبيل المجد" التي استعادها سامي كلارك في العام ١٩٨٦ بإخراج موسيقي جديد من توقيع مايك حرّو.

على مدى عقود من الزمن، غنّى شباب لبنان وسوريا هذه الأناشيد من دون الإشارة إلى أسماء مؤلّفيها وملحّنيها، وبقيت هذه "الأغاني" المفعمة بالروح الوطنية والعواطف الجياشة حاضرة في الحياة العامة، ولم تفقد شيئاً من بريقها الأول، وظلّ السؤال مطروحاً: في أيّ مناسبة وُلدت هذه الأعمال، وأين قُدِّمت للمرة الأولى؟ كيف تلقاها الجمهور عند خروجها إلى النور، وكيف شاعت وتردّدت على كل شفة ولسان؟ نجد الجواب الشافي في

كتاب أنيق يتميز بمادته العلمية الرصينة، عنوانه "اللحن الثائر، سيرة الأخوين فليفل". في بادرة منها لحفظ التراث الموسيقي العربي، أصدرت جمعية "عِرب" هذا الكتاب التوثيقي عن سيرة الموسيقيين اللبنانيين محمد وأحمد سليم فليفل ولا يسعنا إلا أن نحيي هذا العمل التوثيقي الضخم الذي يخرج اليوم بأبهى حلّة.

يتألف "اللحن الثائر" من دراستين مترابطتين، ويحوي أربعة أقراص مدمجة تضم مجموعة كبيرة من أعمال فليفل مصنّفة في أربعة أبواب: الأناشيد الوطنية، الأناشيد القومية العربية، الأعمال التربوية والدينية، والأعمال الخاصّة بالأطفال. وضع الدراسة الأولى محمد كريّم، وفيها وثّق سيرة الأخوين فليفل في حلّة تجمع بين الطراوة الأدبية والبحث العلمي المتأني، معتمدا على الأحاديث والروايات التي نقلها عن الرواة، والأخبار المتبعثرة في الصحف القديمة التي واكبت نشاط الأخوين فليفل منذ ظهورها.

لا تنفصل السيرة الشخصية عن السيرة الاجتماعية، ولعلها وليدة التحولات الكبيرة التي شهدها العالم العربي منذ مطلع القرن الماضي إلى نهاية الثمانينات. يجمع اسم "الأخوين فليفل" بين محمد وأحمد اللذين ولدا في حي الأشرفية في بيروت، ومنه انطلقا إلى سائر أنحاء العالم العربي. رأى محمد النور في آخر سنة من القرن التاسع عشر، ووُلد أخوه أحمد بعد سبع سنوات. شهد الأخوان زوال العهد العثماني وسعي الشعوب العربية إلى النهضة والاستقلال في زمن "الانتداب الفرنسي"، وحققا خلال مسيرتهما الفنية التي استمرت ما يقارب الخمسة عقود أربع إنجازات موسيقية تأسيسية لعبت دوراً بارزاً في الحياة الفنية والاجتماعية، كما يؤكد محمد كريّم.

يتمثّل الإنجاز الأول في إنشاء "فرقة موسيقى الأفراح الوطنية" التي ساهمت في ولادة الحركة الموسيقية وتنشيطها في لبنان في عشرينات القرن الماضي.

أما الإنجاز الثاني، فيكمن في ريادة الأخوين فليفل "في تلحين مجموعة كبيرة من الأناشيد الوطنية والقومية كانت عنصراً مهماً في تعزيز الوعي الوطني لدى الشعوب العربية بشكل عام، والشعب اللبناني بشكل خاص".

نصل إلى الإنجاز الثالث، وعنوانه العريض "تأسيس فرقة موسيقى الدرك اللبناني التي أصبحت تدعى، في ما بعد، موسيقى قوى الأمن الداخلي، والتي من رحمها ولدت فرقة موسيقى الجيش اللبناني".

يبقى الإنجاز الرابع، ويتمثل في وضع منظومة أغان وأناشيد خاصة بالأطفال والفتيان تماثل في مواضيعها الأناشيد الوطنية، وإن اختلفت في البنية والأسلوب. كما يشير الباحث عن حق، "لإيفاء هذه الإنجازات حقها من التقييم الموضوعي، ولتبيان مدى الجهود التي بذلت في سبيل تحقيقها، لا بد من وضعها في إطارها الزمني، وضمن أبعادها السياسية والاجتماعية".

نشأ الأخوان فليفل في زمن انهيار الخلافة العثمانية، وعاشا ويلات الحرب العالمية الأولى، وقررا اقتحام ميدان الفن في ظل ظروف معيشية صعبة. تلقى محمد وأحمد مبادئ العلم وحفظ القرآن الكريم في كتّاب الشيخ مصباح دعبول في حي الأشرفية، وانتقلا بعدها إلى "دار النجاح"، وهي مدرسة المقاصد الأولى، ثم تابعا علومهما في المدرسة السلطانية والمدرسة الرشيدية، والتحقا من

ثمّ بدار المعلمين التركية حيث تعلّما العزف على بعض الآلات الموسيقية على يد الفنان التركي يوسف أفندي.

في طفولتهما، تأثر محمد وأحمد بوالدهما الذي كان "يتمتع بحس موسيقي فطري"، كما تأثرا بوالدتهما التي كانت "تحفظ التواشيح والابتهالات الدينية والمدائح النبوية عن والدها ديب صبرة، شيخ مؤذّني الجامع العمري الكبير في بيروت". كان خالهما عبد الغني صبرة عازفاً بارعاً على العود، وكان جدّهما ديب المجاز من المشيخة الإسلامية في اسطنبول عازفاً على الناي. تلقّى محمد دروسه الموسيقية الأولى في دار المعلمين التركية، وتعلم العزف على بعض الآلات الموسيقية على يد الفنان التركي مصطفى أفندي، وتابع دراسته على آلة الفيولنسيل في المعهد الموسيقي الوطني حتى نال شهادة التخصص بها في العام ١٩٣١.

من جهته، التحق أحمد بفرقة موسيقى ‘‘دير المخلص’’ حيث تعلّم العزف على البيانو وآلات النفخ. بعدها، عمّق الأخوان فليفل دراستهما الموسيقية على أيدي عدد من الأساتذة العاملين في لبنان، مثل الأب مارون غصن، والأستاذ بشارة فرزين، والإيطالي فريدريك ريتلي، ومدام شلالا، وتعلّما على يد الأستاذ وديع صبرا أصول "تآلف الأصوات"، أي "الهارموني".

أفتتن الولدان بالفرق الموسيقية العسكرية العثمانية التي كانت تجوب شوارع بيروت، وأولعا بالمقطوعات الموسيقية والمارشات العسكرية التركية، وحلما بتأسيس فرقة وطنية.

في العام ١٩٢٣، تمكن الأخوان من تحقيق حلمهما، فأسّسا فرقة موسيقية قوامها ستة وعشرون عازفاً من الشباب اللبناني، اشتريا لها آلات النفخ والإيقاع من جيبهما الخاص، وسمّياها "فرقة

موسيقى الأفراح الوطنية". بدأت هذه الفرقة الناشئة بالعزف في حديقة آل فليفل في شارع "سيدي حسن" في منطقة البسطة في بيروت، ولما اكتمل تجهيزها صارت تشارك في احتفالات المدارس والجمعيات الأهلية، ثم راحت تعزف في بعض المناسبات الرسمية.

الجلال والجمال والسناء

قبل الدخول في مرحلة تلحين الأناشيد، نهل الأخوان من ينابيع عدة، وشهدا ولادة الأناشيد الوطنية الأولى في لبنان والعالم العربي، ووضعا باكورة أناشيدهما الوطنية في العام ١٩٢٣، واعتمد هذه النشيد قصيدة للشاعر مختار التنّير مطلعها:

سوريا يا ذاتَ المجدِ ... والعزة في ماضي العهدِ
إن كنتِ لنا أهنى مهدِ ... فثراكِ لنا أهنى لَحدِ.

بعدها، عمد محمد وأحمد فليفل الى اختيار بعض قصائد الشاعر عبد الرحيم قليلات، فلحّناها ولقّناها لتلامذة مدارس المعارف الرسمية ومدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

في بيت عبد الرحيم قليلات، كتب الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان يوم كان طالباً في الجامعة الأميركية نشيدين صنعا شهرة الأخوين فليفل في ذلك الوقت المبكر من حياتهما. النشيد الأول هو نشيد "موطني، الجلال، والجمال، والسناء، والبهاء في رُباك"، والثاني هو "وطني أنت لي والخصمُ راغمُ، وطني أنت كلُ المُنى"، "وهو في الأساس موجه إلى الوطن الفلسطيني، وقد عبّر فيه الشاعر، ابن مدينة نابلس الفلسطينية، عن روح التحدي التي تملكت الفلسطينيين وبالتالي الشباب العربي، في وجه ما كانت تحوكه السلطات البريطانية المستعمرة ضد فلسطين وشعبها، كما بثّ فيه الشاعر دعوة إلى النضال في سبيل تحرير الأوطان".

بعد هذين النشيدين الفلسطينيين، لحّن الأخوان فليفل كذلك من شعر طوقان نشيد "فتيةَ المغرِبِ هيا للجِهاد ... نحن أولى الناسِ بالأندلسِ". استمر هذا التعاون، وأثمر في مرحلة لاحقة عن نشيد آخر أضحى من الكلاسيكيات، هو نشيد الفدائي، ومطلعه:

لا تسل عن سَلامتِه ... روحُه فوقَ راحتِه
بدّلته هُمومه ... كَفَناً من وِسادَتِه.

جمع الأخوان فليفل بين انتمائهما للبنان وولائهما للعالم العربي بأقاليمه المتعددة، ولحّنا سلسلة طويلة من الأناشيد نظم كلماتها كوكبة من كبار الشعراء، منهم الأخطل الصغير، إبراهيم طوقان، سعيد عقل، عمر أبو ريشة، معروف الرصافي، أمين تقي الدين، شبلي الملاط، سابا زريق، عبد الحليم الحجار وفخري البارودي.

اتسعت هذه الحلقة مع الزمن، وضمّت كوكبة أخرى من الشعراء، مثل جورج غريب، نسيم نصر، محمد يوسف حمود، سلام فاخوري، شفيق جدايل، وديع عقل، وآخرون. لحّن محمد وأحمد من شعر الزعيم فخري البارودي أشهر أناشيدهم القومية العربية، "بلاد العُرْبِ أوطاني من الشامِ لِبَغْدانِ"، ولحّنا من شعر عبد الحليم الحجار أحد أجمل الأناشيد اللبنانية: "الفخر، في بلادنا والعزّ باتحادنا وعن ذُرى أطوادِنا والأرزِ لا تسلْ". ومن شعر عمر أبي ريشة، لحّن الأخوان نشيد المناضلين في سجون الاحتلال: "في سبيلِ المجدِ ... والأوطانِ نَحيَا ونَبيدْ".

شاعت أناشيد فليفل في زمن الانتداب الفرنسي، وأدى نجاحها إلى فصلهما من المدارس الرسمية على يد وزير المعارف نجيب أبو صوان بطلب من المفوض السامي، غير أنهما عادا إلى وظيفتهما عند سقوط الحكومة، وكان ذلك على يد وزير المعارف الجديد جبران تويني مؤسس جريدة "النهار" اللبنانية وصاحبها.

أثارت أناشيد فليفل الإعجاب والحماسة، وطالب البعض بتبنّيها في المدارس، كتبت جريدة "لسان الحال" في ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٥: "ليس كالأناشيد الوطنية من مهذّب لعواطف الناشئة ومثير للروح القومية. ويسعدنا أن ينشط بعض شعرائنا ورجال الموسيقى فينا إلى نظم الأناشيد الوطنية وتلحينها ونشرها بين الناس لتحلّ محلّ تلك الأغاني السقيمة بمبناها ومعناها التي يتلهى فتياننا بإنشادها دون أن تؤثر في نفوسهم تأثيراً حسناً. وقد تلقينا من الأديبين فليفل إخوان الموسيقيَين المعروفَين في الثغر أناشيد جميلة بكلماتها وألحانها. مجموعة جدير بطلبة المدارس أن يحفظوها فهي ترمي إلى غايات سامية من توثيق على التآخي الوطني وترقية العواطف".

واكب الأخوان على مدى عقود من الزمن الحركة السياسية والاجتماعية في لبنان ولحّنا مئات الأناشيد الوطنية والتربوية فضلاً عن أناشيد معظم الأحزاب اللبنانية مثل الكتائب، الطلائع، الفتوّة، المرابطون، الكشّاف، والنجادة.

في أواخر الثلاثينات، دعت الحكومة العراقية جمعية "العروة الوثقى" في الجامعة الأميركية في بيروت لزيارة بغداد،

وألّف سعيد عقل في هذه المناسبة نشيداً لحّنه الأخوان فليفل، مطلعه: "للنسورْ، ولنا الملعبُ والجناحان الخضيبان بنورْ، العُلا والعَرَبُ". نجح هذا النشيد، وأقرّته وزارة المعارف العراقية رسمياً في مدارسها وجامعاتها، وردّده الكثيرون في جميع المناسبات الوطنية.

اللحن والوطن
يقتفي محمد كريّم أثر الأخوين فليفل في الصحافة والمجلات، ويقدم تأريخاً شاملاً لنشاطهما في لبنان والعالم العربي حتى نهاية السبعينات. يتوقف الباحث أمام قضية "النشيد الوطني" ويستنبط الأسباب التي دفعت لجنة التحكيم إلى إعلان فوز لحن مدير الكونسرفاتوار وديع صبرا بأكثرية أحد عشر صوتاً.

كذلك، يستعرض المؤلف مراحل ولادة فرقة موسيقى الدرك اللبناني، ويروي قصة اكتشاف محمد فليفل صوت صبية من مدرسة الإناث الأولى في منطقة حوض الولاية تُدعى نهاد وديع حداد، وتبنّيه موسيقياً هذه الصبية على مدى سنوات، قبل أن يعمل على إدخالها الإذاعة حيث اختير لها اسم فيروز.

في الختام، يشدّد الكاتب على الدور الذي لعبه الأخوان فليفل في الحياة الموسيقية والاجتماعية، ويستشهد بما قاله العقيد جورج حرّو في أطروحته عن فن هذين الأخوين: "وقف الشقيقان جنباً إلى جنب ما يقارب النصف قرن تقريباً في خدمة الفن واللحن والوطن. فأهمية ألحانهما ليست فقط بعدد الألحان، أو بالانتشار الواسع الذي عمّ أرجاء الوطن العربي، بل بتميزهما عن أنواع الموسيقى التي كانت سائدة في لبنان في ذلك العصر، من أغان عاطفية ومقطوعات شرقية أو مقطوعات كلاسيكية. فيعتبر الأخوان من أوائل من نظم جملة موسيقية عربية خارجة عن المألوف، تميزت بقصرها وبإيقاعها العسكري".

بعد دراسة محمد كريم، تأتي دراسة الموسيقي العميد جورج حرّو، وهي موسيقية بامتياز تتناول بشكل موسّع مجمل أعمال الأخوين، وتحوي أعمالاً مدوّنة على طريقة "النوطة". بحسب هذه الدراسة، اعتمد الأخوان في موسيقاهما بشكل أساسي على

الصيغة المعروفة عالمياً في بناء ألحان السير، وتقوم على الأقسام الثلاثة، المقدمة الموسيقية، ثم القسمين الثاني والثالث. تتمتع هذه المؤلفات بخصائص تميّزها عن بقية الأناشيد الأوروبية والأميركية، غير أنها "رغم التباين تتطابق إلى حدّ بعيد وألحان السير الفرنسي".

"اللحن الثائر" الصادر عن "جمعية عِرب للموسيقى"، كتاب مرجعي مميز نتمنى أن يكون نواة لسلسلة موسيقية مهمتها المحافظة على التراث العربي وتأريخه بشكل علمي متين.

"سيرة الاخوين فليفل"
كشكول الأناشيد وظلم الدولة

محمد حجيري
صحيفة المدن، ٦ تشرين الأول ٢٠١٤

ثمة الكثير من العباقرة والمبدعين اللبنانيين (والعرب) الذين ظلمهم الزمن، والسياسة وربما الجغرافيا، وظلوا مغمورين رغم اهميتهم وعطاءاتهم، ومن بينهم الاخوان فليفل (محمد وأحمد) اللذان قدما أبرز الأناشيد الحماسية والرسمية في العالم العربي.

وفي هذا السياق، اختارت جمعية "عِرَب" الموسيقية أن تكرمهما في كتاب "اللحن الثائر"، نظراً لدورهما واسهاماتهما الموسيقية التي عززت حضور الموسيقى والأغاني في حياة اللبنانيين، أولاً من خلال جهدهما لإدخال الموسيقى في المناهج التربوية، وثانياً عبر المسيرات التي كانت تقوم بها فرقتهما الموسيقية في الأحياء الشعبية في بيروت، عدا عن تأسيسهما فرقة موسيقى الدرك اللبناني.

وضمت أعمال هذين الموسيقيين مواضيع مختلفة تتماهى وروح العصر والمجتمع، واشتملت على المارشات العسكرية والأغاني البيئية والأناشيد الوطنية والدينية، ما أحدث وثبة نوعية في الألحان المحلية آنذاك والتي كانت مقتصرة على الاهازيج والمواويل الشعبية.

وقسمت "عِرَب" الدراسة إلى قسمين: الأول توثيقي، والثاني موسيقي. فأوكلت الأول إلى الباحث محمد كريم، المعروف بعلاقته الوطيدة بالأخوين فليفل، إضافة الى حسن اطلاعه على سيرة حياتهما. أما الثاني فأعدّه الموسيقي جورج حرو، لخبرته في هذا المجال، إذ سبق أن قدم أطروحة دكتوراة في "فن الأخوين

فليفل"، فقرأ ألحانهما قراءة موسيقية يفصل فيها النوتات ويشرحها ويضعها في إطارها الموسيقي.

كتاب "اللحن الثائر" رحلة في "كشكول" من الأناشيد التي استوطنت آذان الشعوب العربية والجماعات الحزبية وحتى الأطفال. وبحسب الباحث محمد كريم، قبل أن يطلق الإخوان فليفل أناشيدهما الوطنية والقومية في دنيا العرب، مطلع القرن الماضي، كانت الناشئة في المدارس والمعاهد تنشد الأناشيد ذات التوجهات العثمانية التي ترفع الدعاء للدولة السنّية بالعز والسؤدد.

وعرفت المجتمعات العربية بعض الأغاني الوصفية التي تتغنى بالوطن بشكل خجول، وتمحورت مواضيعها حول جمال الطبيعة، إلى أن أطلق الاخوان فليفل أناشيدهما ذات المضامين الوطنية والأبعاد القومية. هذه الأناشيد، بألحانها القومية الحماسية أوجدت ما يسميه كريّم "حالة من الاستنهاض" في العديد من البلدان العربية، واستطاعت أن "تواكب وتدعم" الحركات السياسية التي قام بها "رجالات البلاد" في المحافل الدولية، حتى بات نشيد "موطني"، الموجه في الاصل الى فلسطين، وكأنه النشيد الوطني للأمة بأسرها .

وفي اربعينات القرن الفائت، بات شباب المعاهد الجامعات واعضاء ما يسمى "الاحزاب الوطنية" يخرجون الى الشوارع العواصم العربية في تظاهرات مطالبين بالاستقلال منشدين بصوت واحد من كلمات بشارة الخوري وألحان الاخوين فليفل: "نحن الشباب لنا الغد ... ومجده المخلدُ".

قبل ان تكون سيرة الأخوين محمد وأحمد فليفل، رحلة ألحان وموسيقى وأناشيد، تعيدنا حياتهما المدونة في كتاب "اللحن الثائر" إلى حقبة اختلطت فيها الآراء بالروافد وتنوعت، وكان لبنان ما

زال لديه ما يقوله. كانت البلاد العربية في مطلع الاربعينات من القرن الفائت حبلى بالأحداث التي تنذر بالانفجار.

وسط هذا الجو المشحون بالغضب، وأمام حالة الغليان، عكف الأخوان على تلحين عدد كبير من الأناشيد لشعراء كبار امثال: الاخطل الصغير، ابراهيم طوقان، سعيد عقل، عمر ابو ريشة، معروف الرصافي، امين تقي الدين، شبلي الملاط، سابا رزق، عبد الحليم الحجار وفخري البارودي. وفي مرحلة لاحقة لشعراء اخرين.

ولحن الاخوان فليفل مئات الأناشيد الوطنية والدينية والتربوية والبيئية، فضلاً عن اناشيد معظم الاحزاب اللبنانية مثل: الكتائب، الطلائع، الفتوة، المرابطون، الكشاف، والنجادة. من بين الاناشيد التي لحنها الأخوين فليفل نشيد "العروة الوثقى" من كلمات الشاعر سعيد عقل، ومطلعه "للنسور ولنا الملعب والجناحان الخضيبان... بنور العلى والعرب. ولنا القول الأبي والسماح العربي ... والسلاح. ولنا هز الرماح ... في الغضوب المشمس. ولنا هزّ الدّني ... قبباً زرق السنا. ولنا صهلة الخيل ... من الهند إلى الأندلس".

وهذا النشيد ليس مفاجأة من "العيار الثقيل"، كما يتوهم البعض. وأن يكتب سعيد عقل نشيد "العروة الوثقى"، فهذا من الأمور البديهية، خصوصاً حين نعلم أنه كتب ايضاً نشيد الحزب السوري القومي الاجتماعي. وبعدما دارت الدوائر وانقلبت الأدوار وصار على ما هو عليه من مواقف وأفكار، راح ينكر أنه صاحب النشيدين القومي السوري والقومي العربي، وادعى أنه كان مغرماً بفتاة في "العروة الوثقى" اسمها ليلى طنوس، وأنها كانت تعرض عليه أشعاراً ركيكة وتجادله فيها "الى أن قلت لها: سأريك كيف يُكتب شعر عروبي. وكتبت لها هذا النص الذي أخذته وعرضته

على أصحابها فاتخذوه نشيداً للجمعية" (من حديث لسعيد عقل أجراه عباس بيضون في "ملحق النهار"). بعد القومية السورية، والقومية العربية، بدأ سعيد عقل يمجّد الفينيقية اللبنانية التي يبلغ عمرها خمسة آلاف عام، وأغرق نفسه في السياسات اللبنانية و"لبننة العالم بعد بردَنَة (من نهر البردوني) زحلة وزحلَنَة لبنان".

والارجح أن سعيد عقل كان يعتبر الشعر "مهنة"، وربما تكون نظرة الأخوين فليفل الى الموسيقى مهنية قبل كل شيء. فهما لحّنا أناشيد كشكولية متناقضة، من العروبية ("لبيك عبد الناصر" و"بلاد العرب أوطاني") إلى الميليشياوية ("الكتائب" و"المرابطون")، والعربية (النشيد الوطني السوري ونشيد جامعة الدول العربية) وعشرات الأناشيد الوطنية والفلسطينية واللبنانية والعربية والحزبية .

والبارز في مسيرة الاخوين فليفل هو اكتشاف الفنانة فيروز. فغداة اعلان الحكومة اللبنانية الاحتفال بعيد الشجرة في الاول من كانون الأول ١٩٤٧، كلفت محمد فليفل تلحين نشيد للمناسبة، فجال فليفل على المدارس الرسمية لاختيار التلاميذ الذي سينشدون هذا النشيد. وبوصوله الى مدرسة الإناث الأولى في منطقة حوض الولاية قدمت له مديرتها سلمى قربان تلميذة في الرابعة عشرة من عمرها اسمها نهاد حداد، لفت صوتها انتباه محمد فليفل على الفور وبعد موافقة اهلها، ضمّها الى الفرقة لتتفرّد بصوتها ببيت: "بالشجر يتعالى في الهواء"، والذي صاغه بلحن يتطلب خامة صوتية معينة، إضافة الى المهارة في الأداء.

وتبنى فليفل نهاد حداد موسيقياً، وأدخلها الكونسرفاتوار، وعن تلك الفترة يروي قائلا: "اتصلت بوديع صبرا، مدير الكونسرفاتوار آنذاك، وطلبت منه تسجليها على نفقتي، لكن الاستاذ صبرا، سجلها بلا مقابل...".

وبعد خمس سنوات من الدرس والتدريب في الكونسرفاتوار اللبناني، وفي منزل آل فليفل، تأكد محمد فليفل أن موهبة تلميذته قد تبلورت وأنه قد آن الأوان لانطلاقها في عالم الفن الرحب. ورأى أن الخطوة الأولى لا بد أن تكون من الإذاعة اللبنانية. في الامتحان الإذاعي غنت "يا ديرتي" لأسمهان، فحظيت بإعجاب الملحن حليم الرومي، واختار لها اسم فيروز. وفي الإذاعة ايضاً تعرفت فيروز الى عاصي الرحباني.

وعلى أهمية ما حققه الأخوان فليفل، ظلمتهما الدولة اللبنانية، ومنعت عنهما مرة شرف تلحين النشيد الوطني اللبناني، علماً أنهما لحنا الكثير من الأناشيد العربية المعروفة، وهما من وضعا الوزن لقصيدته وللقصائد المرشحة لتكون النشيد. ووسط دهشة واستغراب الأخوين فليفل، خرج الشيخ بشارة الخوري وربّت على كتفيهما قائلا: "أعجبت كثيراً بلحنكما، لكن الظروف حتمت علينا وعلى اللجنة اختيار لحن وديع صبرا لثقافته وكبر سنّه وشهرته في البلدان الأوروبية، أنتما ما زلتما شابين المستقبل امامكما". الظروف التي يتحدث عنها بشارة الخوري فضيحة، تعكس جوانب من معايير السياسة المتبعة في الجمهورية اللبنانية، اذ يغلب عليها منطق المحسوبيات على حساب المواهب، ومنطق الطوائف على حساب الأفراد.

يبقى القول إن ثمة جانب كان ينبغي تناوله في كتاب "اللحن الثائر"، ويتعلق بتحليل كلمات الأناشيد القومية والوطنية والحزبية والبيئية التي لحنها محمد وأحمد فليفل، مع تأويل مضمون هذه الأناشيد وما تحمله من دلالات ثقافية واجتماعية ورمزية...

الأخوان فليفل
رائدا الأناشيد الوطنية في العالم العربي

د. محمد أمين فرشوخ
مجلة العربي الكويتية، العدد ٧٥٥، تشرين الثاني ٢٠٢١

منذ عام ١٩٢٣، بدأ محمد فليفل وأخوه أحمد من لبنان في تأليف نصوص وألحان الأناشيد الوطنية (والمارشات العسكرية)، والتي جاوزت الألفين، وقد اعتمدتها أوطان عربية، وحفظتها أجيال مستمرّة. واليوم ما زلنا ننشد من ألحانهما من شعر إبراهيم طوقان:

موطني ... موطني ...
الجلال، والجمال، والسناء، والبهاء في رباك،
والحياة، والنجاة، والهناء والرجاء في هواك.

كتبت فيهما "لسان الحال" قديماً: "تداول المجتمع الأهلي هذه الأناشيد، وعلمتها المدارس لتلامذتها، فأخذوا ينشدونها؛ لما فيها من غايات سامية ترمي إلى توثيق التآخي الوطني وترقية العواطف".

في بيروت، ولد محمد فليفل في عام ١٨٩٩، وأخوه أحمد فليفل في عام ١٩٠٦، وبعد أن حفظا القرآن الكريم في كتّاب الشيخ مصباح دعبول تابعا دراستهما في مدارس جمعية المقاصد الإسلامية، ثم في المدارس العثمانية: السلطانية والرشيدية ودار المعلمين.

درس الأخوان فليفل أيضاً العزف على بعض الآلات الموسيقية في دار المعلمين، وتربيا في بيت "موسيقي"، إذ كانت والدتهما حسنة الصوت، تردّد الأناشيد الدينية نقلاً عن والدها شيخ مؤذني الجامع العمري الكبير في بيروت والعازف على الناي، وخالهما عازف العود.

وفي عام ١٩١٩ دخل البيانو إلى بيت فليفل، وأحضر لهما والدهما معلمة إيطالية لتعلمهما العزف عليه، ثم تابع محمد دراسته في المعهد الموسيقي الوطني حتى شهادة التخصص، والتحق أحمد بفرقة موسيقى "دير المخلّص" حيث تعلّم العزف على البيانو وآلات النفخ.

الموسيقى العسكرية

عرف الأخوان فليفل منذ طفولتهما فِرقَ الموسيقى العسكرية التي كانت تجوب شوارع بيروت في المناسبات والأعياد، وفي عام ١٩٢٣ أسس الأخوان مع أصدقائهما "فرقة موسيقى الأفراح الوطنيةط، وراحت الفرقة تتدرّب على عزف الأناشيد والألحان الشائعة، وتشارك في احتفالات المدارس والجمعيات الأهلية، وتطوف شوارع المدينة في المناسبات الوطنية والدينية.

ثم تعيّنا أستاذين للموسيقى في المدارس الرسمية والمقاصد ودار المعلمين، وفي الكونسرفتوار، قبل أن تؤسَّس "موسيقى الدرك" اللبناني، حين عين كل منهما فيها برتبة ملازم، ولبسا البزّة العسكرية، فانطلقت "موسيقى الدرك" منذ عام ١٩٤٢.

في تعليم الموسيقى

تابع الأخوان فليفل تعليم الموسيقى وإدارة فِرقها في المدارس والمعاهد الخاصة والموسيقية، وفي الإذاعة اللبنانية، حتى بعد

تقاعدهما. في عام ١٩٣٥ كلفتهما الحكومة العراقية إصلاح الأناشيد التربوية المدرسية. وفي عام ١٩٥٢ كلفهما الملك عبد العزيز آل سعود تأسيس موسيقى الحرس الملكي السعودي.

وعلى أيديهما تخرّج كثير من المطربين والمطربات والموسيقيين، ومن المطربات: نور الهدى، ولور دكاش، وفيروز التي تعلّمت منهما أصول الإنشاد والنطق والموسيقى، ومن المطربين: محمد البكار ومحمد سلمان ومصطفى كريدية، والموسيقار توفيق الباشا أيضاً.

وكان لهما فضل إطلاق "البيت الموسيقي" في عام ١٩٤٢، والذي صار "نقابة الموسيقيين اللبنانيين".

القيم في أناشيدهما

كنتُ محظوظًا إذ درست على يد محمد فليفل أواسط الستينيات "الأناشيد الوطنية"، وكان يردّدها لنا وهو يعزف على البيانو، ثم يعرّفنا معانيها وما فيها من قيم علينا تطبيقها، وهو المربي والعسكري: قيم مدنية وأخلاقية ودينية، في العلاقات الاجتماعية، في العلاقات العائلية، في حُسن التصرّف والحديث، في احترام الكبير والضعيف، في حماية الأملاك الخاصة والعامة، في احترام القانون قدر ما كنّا نعرف منه، مستشرفاً مستقبلاً لنا جميعاً، يوحّدنا في سياق مدني راقٍ، يبني لنا مؤسسات حاضنة: فنحن الشباب لنا الغد، ومجده المخلّد نحن الشباب.

كنّا ننشد باعتزازٍ مَن ينتمي بصدق وحب وشغف للمجتمع، للوطن، للمستقبل .

وفي الأناشيد الدينية كانت لنا أناشيد جامعة، في السيدة مريم أنشدنا من شعر سعيد عقل:

أحبك حنّت لك الأنجمُ، وزنبق قدسك يا مريمُ
مباركة أنت دون النساءِ، بارك الثمرُ الأعظمُ
ألَا معكِ الله يا مريمُ، ألَا معكِ الله يا مريمُ.

وفي النبي الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنشدنا للشاعر أحمد دمشقية:

نورٌ به دنيا الحضارة تنعمُ، والحق يعلو والعدالة تحكُمُ
يا قومَنا صلُّوا عليه وسلّموا، ظهر الهدى ولد الرسول الأعظمُ

اختارا القصائد، وأنشدناها معهما، نحن المسلمين والمسيحيين، ولم نسأل عن خصوصية الهوية الدينية لأحد، وكانا قد لحنا أوبريت ميلاد السيد المسيح، ونالا عليه وسام الصليب المقدس.

وللشجرة أنشدنا في عيدها المكرّس وطنيّاً لأول مرّة للشاعر محمد يوسف حمود:

جنّة في وطني، من صباح الزمن
تملأ الأرض اخضراراً، والسماوات افتراراً
بالشجر، يتعالى في الهواء، والثمر، يتلألأ كالضياء.

وكانت عناوين الأناشيد هذه: الحضارة لغات متعدّدة، التحية، الأم، يا أمهات، أيها اليتيم، جارتنا، الفلاح، المهاجر، كشاف هيا، نار المخيم، المعلم، الفقراء، عيّدوا، الممرضات، نحن يا عمّال، هللوا

للعيد، للمقاصد ... هذه عناوين، أو هي مواضيع أسست لثقافتنا الاجتماعية الجمعية المدنية.

وهذه الأناشيد هي قصائد ومقطوعات لشعراء كبار، مجيدين، وللأخوين فليفل أيضًا، فقد كانا شاعرين ينظِمان الكلمات المناسبة لما يشعران به على وقع موسيقاهما.

من الشعراء الذين لحّنا لهم: عمر أبو ريشة، الياس أبو شبكة، عارف أبو شقرا، بشارة الخوري (الأخطل الصغير)، عمر الزعني، رشيد الخوري، يحيى اللبابيدي، أحمد الصافي النجفي، رشاد دارغوث، سابا زريق، إبراهيم طوقان، مارون عبود، وديع عقل، عبد الرحيم قليلات.

أناشيدهما في البلاد العربية

تجاوزت أناشيد الأخوين فليفل الألفين عدّاً، وتجاوزت الحدود الجغرافية في انتشارها، فعمّت البلاد العربية.

لقد عاش الأخوان فليفل محطات ولادة الأوطان العربية، سياسيّاً، فصاغا، كما اختارا من القصائد، ما يتلاءم مع الواقع العربي الجديد، من دون نسيان ما يجمع شعوب هذه الأوطان، في موسيقى تلهب المشاعر، وتثير الحماس، وتجمع السواعد والقلوب.

وفي كل نشيد اختاراه كان يوجد ما يميّز الوطن الذي يتبناه: الأرز والجبل هنا، الصحراء والفروسية هناك، العنفوان ... العمّال، البحر... القائد والزعيم... في اختيارات مدروسة، فنسمع لهما في الأردن، من نظم الشاعر نسيم نصر:

إيه عبد الله مَن، قام للحرب
هاشميّاً في سنن، شيمة العرْب.

وفي السعودية:

سائل الجدود، سائل الحقب
يهتفوا سعود، عاهلُ العرب.

وفي المغرب، من نظم الشاعر إبراهيم طوقان:

فتية المغرب هيا للجهدِ، نحن أولى الناس بالأندلسِ
نحن أبطالٌ فتاها ابن زياد، ولها ترخص غالي الأنفسِ.

وحين أنشدت فرقتهما في مصر، بحضور الرئيس جمال عبد الناصر، نشيد "راسخ عزمنا" للشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب، ووصل النشيد إلى: "واحد شعبنا الكبير يا لشعب مؤمِن، صاعق جيشنا هامة لا تنحني"، يقال: دمعت عينا عبد الناصر، وحين انتهى الإنشاد اقترب من محمد فليفل ليعانقه ويقول له: هذا النشيد ليس خاصّاً للجمهورية العربية المتحدة، بل للشعب العربي كله. سمّوه "نشيد الشعب العربي"، وهكذا كان.

إن تأصيل الشعور الوطني، احتاج إلى جرأة واقتحام في بداياته، (وربما ما زال يحتاج إلى ذلك اليوم)، أقصد بالشعور الوطني ذاك البعيد عن الطائفية والمذهبية والتقوقع ... هو الشعور بالوطن كله، بأركانه كلها، الإنسانية والطبيعية، بتاريخه، بمستقبله، بأحلام شبابه، بقيم رجاله، بتقدير أبنائه العاملين من أجل حاضرهم ومستقبلهم.

في لبنان وسوريا

وفي لبنان، في عهد رئيس الجمهورية شارل دبّاس، في عام ١٩٢٦، أقيمت مباراة لاختيار النشيد الوطني، وكان النشيد السابق

هو المارسيلييز الفرنسي، وقبله النشيد السلطاني التركي، فشارك عدد كبير من الشعراء فاز من بينهم رشيد نخلة عن قصيدته التي مطلعها:

كلنا للوطن، للعلى للعلم
ملء عين الزمن، سيفنا والقلم.

ثم جرت مباراة ثانية لاختيار لحن للقصيدة، ففاز مدير الكونسرفتوار وديع صبرا وخسر الأخوان فليفل، فخرج حينها الشيخ بشارة الخوري (الرئيس فيما بعد) وربت على كتف محمد قائلًا: "أعجبت كثيراً بلحنكما لكن الظروف حتّمت علينا وعلى اللجنة اختيار لحن وديع صبرا لثقافته وكبر سنه وشهرته في البلاد الأوربية، وأنتما ما زلتما شابين والمستقبل أمامكما".

لكنهما لحّنا النشيد الوطني السوري بعد فوزهما في مباراة شارك فيها ستون موسيقيّاً، كان من بينهم جورج صبرا .
وكان مطلع النشيد:

حُماةَ الديارِ عليكمْ سـلامْ، أبَتْ أنْ تذِلَّ النفـوسُ الكرامْ
عرينُ العروبةِ بيتٌ حَرام، وعرشُ الشّموسِ حِمًى لا يُضَامْ.

خاتمة

وما زلتُ أتساءل: كيف تقبّل العرب، على اختلافهم، واللبنانيون على تنوّعهم، (وعلى اختلافهم: الكتائب، النجادة، الطلائع، المرابطون، الكشاف، المقاصد..) أناشيد محمد وأحمد فليفل، لشاعر: مصري أو عراقي أو فلسطيني أو لبناني، أو شيوعي، أو قومي عربي، أو قومي اجتماعي سوري، ومن كل المذاهب،

أتساءل الآن، ولم يكن هذا التساؤل سابقاً وارداً، لأن الكلمة كانت صادقة في النشيد، واللحن المرافق كان صادقاً أيضاً.

فقد كنّا ننشد: الفخر والاعتزاز والعنفوان، غير وجِلين، وغير هيّابين، لا من الانتداب الفرنسي ولا من الانتداب الإنجليزي ولا من سلطة مستبدة ... كنا نستعذب الكلمة، فنصرخ بها ملء أفواهنا، وقلوبنا هي التي كانت ترافق الإيقاع فنرفع صوتنا فنردد للشاعر عبد الحليم الحجار:

الفخر في بلادنا والعزُّ باتحادنا، وعن ذرى أطوادنا والأرز لا تسلْ
حبذا لُبنان جنّة الخلود، مهبط البيان تُربة الجدود
أسرجوا الخيول، واقرعوا الطبول، واقحموا السهول، واحرسوا الجبل.

أو، للشاعر فخري البارودي:

بلاد العرب أوطانِي، من الشام لبغدانِ
ومن نجد إلى يمنٍ، إلى مصر فتطوانِ.

نصف قرن في خدمة الأناشيد الوطنية العربية، أمضاها الأخوان فليفل، وهما، باعتراف الخبراء، رائدا الموسيقى العسكرية في العالم العربي، ومن أوائل من نظَم جملة موسيقية عربية تميزت بإيقاعها، دالّة على أصالة الموسيقى العربية، ولو أن أدواتها كانت الأوركسترا الغربية.

الأخوان فليفل ... من الشام لبغدان

هيثم أبوزيد

صحيفة العربي الجديد - ٢٠ أيار ٢٠٢٤

لم ترتبط الموسيقى العسكرية في بلاد العرب بأحد كما ارتبطت بالشقيقين اللبنانيين محمد وأحمد فليفل. في العقدين الأولين من القرن العشرين. التفت الأخوان فليفل إلى الفرق العسكرية التركية التي كانت تجوب شوارع بيروت. وبينما كانت الجماهير تكتفي بمتابعة تلك الفرق من النوافذ والشرفات والمحال التجارية، كان الصبيان الصغيران يتبعان المواكب الموسيقية وهي تجوب الشوارع والميادين.

كان لإيقاع الطبول ورنين الآلات النحاسية وقعه المؤثر في نفسيهما. جذبهما العزف العسكري حتى امتلك منهما كل تفكير واهتمام. نشأ الصبيان في بيئة مواتية: أب يحب الموسيقى، وأم تهوى الإنشاد الديني والتواشيح وراثةً عن أبيها شيخ مؤذني الجامع العمري في بيروت. ولا بد للهواية من دراسة. هكذا، التحق محمد بموسيقى دار المعلمين التركية، وانتسب أحمد إلى فرقة موسيقى دير المخلص.

وبعد هذه المرحلة التأسيسية، صقل الأخوان فليفل درايتهما الموسيقية بالتلمذة لموسيقيين من ذوي العلم والمكانة، ومنهم الأب مارون غصن، والإيطالي فريدريك ريتلي، ووديع صبرا، الذي عمل لفترة مديراً لفرقة موسيقى الجيش اللبناني. لم يأت عام ١٩٢٣ إلا وقد أسس الأخوان "فرقة الأفراح الوطنية"، مكونة من ٢٦ عازفاً، بعد أن اشتريا لها آلات النفخ والإيقاع من مالهما الخاص.

تتفق المصادر التي تتناول سيرة الأخوين على أن محمد هو الشقيق الأكبر، وأنه يسبق أحمد ميلاداً بأربع سنوات، لكنها تختلف على تحديد سنة ميلاده ما بين عامي ١٨٩٩ و١٩٠٢. وإذن، فقد ولد الأخوان فليفل في حي الأشرفية في بيروت خلال السنوات الأولى من القرن الماضي، ودشنا فرقتهما الأولى مبكراً وهما في أول عشرينيات عمرهما. ولم يمض عامان أو ثلاثة، حتى حققت الفرقة نجاحاً كبيراً وشهرة واسعة، ودعيت للعزف في المناسبات الوطنية، بعد أن كانت عروضها مقتصرة على المدارس أو الجمعيات الأهلية.

انطلاقة الأخوين فليفل وافقت ظرفاً تاريخياً مرحباً، فالموسيقى العسكرية المتسمة بالحماسة، والأناشيد الوطنية ذات الطابع التحريضي، تمثل حاجة ملحة لأي أمة تعاني ويلات الاحتلال، أو تتشوق إلى الحرية والخلاص من الاستعمار. وفي هذا التوقيت، كانت معظم البلدان العربية واقعة تحت الاحتلال، وخرج لبنان من الحكم العثماني إلى الانتداب الفرنسي، وتصاعدت مشاعر الغضب بين الشباب العرب، وكل ذلك مثل بيئة مناسبة لانتشار هذا النوع من الموسيقى، كما مثل بوصلة أمام الأخوين، تشير إلى واجب فني يتحتم أداؤه، فكانت بواكير أعمالهما التلحينية لعدة قصائد نظمها صديقهما الشاعر عبد الرحيم قليلات (١٨٨٤-١٩٤٢) مدير الشرطة والأمن العام ببيروت وقتئذ، وصاحب الرحلة النضالية الطويلة في مقاومة الاستعمار بالشعر والأدب والصحافة.

في بيت قليلات، تعرف الأخوان فليفل إلى الشاعر إبراهيم طوقان، الطالب، حينها، بالجامعة الأميركية. لاحقاً، وتحديداً عام ١٩٣٤، أثمر التعاون بين الأخوين والشاعر واحداً من أشهر الأناشيد

الفلسطينية، بل والعربية، هو نشيد "موطني"، الذي انتشر بسرعة استثنائية، واعتبر نشيداً غير رسمي لفلسطين إلى أن اعتمدت منظمة التحرير نشيد "فدائي" عقب انطلاق الثورة الفلسطينية. في عام ٢٠٠٣، اعتمد "موطني" نشيداً وطنياً للعراق.

كانت مسيرة الأخوين فليفل مع تلحين الأناشيد الوطنية الحماسية أشبه بالقدر الحتمي. كانت رحلة طويلة جداً، وثرية إلى أبعد الحدود، ويصعب الإحاطة بها في مقال أو موضوع صحافي، لكن من المعالم اللافتة في هذه المسيرة نشيد "الفخر في بلادنا" للشاعر عبد الحليم الحجار، عام ١٩٤٧. نال هذا العمل قبول كل التيارات السياسية اللبنانية، وصار سبباً لوحدة تظاهراتهم ضد الاحتلال، ثم صار نشيداً أساسياً للقوى العسكرية ولطلبة المدارس والفرق الكشفية.

وكان نشيد "العلا للعرب" الذي صاغ كلماته الشاعر المصري عبد الحميد زيدان، المنتدب لتدريس اللغة العربية في كلية المقاصد ببيروت، من أهم محطات الأخوين فليفل. كانت الأبيات بالغة الحماسة: "العُلا للعربِ ... الأُباةِ النُجُبِ ... فلتكن خطوتنا ... فوق هامِ الشُهُبِ ... من يثربٍ أو جِلّقِ ... طاف الهدى في فَيْلَقِ... بالغرب بعد المشرق ... فلنُحي عهدَ العرب".

لكن لحن الأخوين جعل النشيد كالبارود المتفجر، حفظه طلاب الكلية، وكانوا يهدرون بكلماته كل صباح، ووصل صوتهم إلى المندوب السامي الفرنسي، بسبب قرب مقرّه من الكلية، فطلب ترجمة الكلمات، واستشاط غضباً بعدما عرف معاني النشيد، وسمع بنفسه أثره الكبير على الطلاب. على الفور، أصدر أوامره إلى دائرة الأمن العام بطرد الشاعر المصري وترحيله إلى بلده،

كما أرسل تهديداً صريحاً إلى الأخوين فليفل بالسجن أو النفي إذا لم ينتهيا عن تلحين هذا النوع من الأناشيد.

رفض الأخوان فليفل ذلك، فطلب المندوب السامي من وزارة المعارف الاستغناء عن خدماتهما. وبالفعل، فُصل الرجلان من العمل، لكن لم يلبثا طويلاً حتى سقطت الوزارة، وجاءت وزارة جديدة تضم جبران تويني وزيراً للمعارف، فأعادهما إلى ما كانا عليه.

وفي الأمثلة المهمة، نشيد "تشرين" من كلمات الشاعر نسيم نصر، الذي لحنه الأخوان عام ١٩٤٤، بطلب من رئيس الوزراء رياض الصلح، أو النشيد الرسمي لجامعة الدول العربية وهو قصيدة للشاعر المصري محمد المجذوب، وكذلك أناشيد معظم الأحزاب اللبنانية، أو نشيد جمعية العروة الوثقى بالجامعة الأميركية في بيروت، من كلمات سعيد عقل. وكان له دوي كبير، واعتمدته وزارة المعارف العراقية -حينها- نشيداً رسمياً للمدارس والجامعات، أو نشيد "سوريا يا ذات المجد" من كلمات مختار التنير، الذي اعتمد في مدارس الأردن وجامعاته، حتى أوائل الستينيات، في حقبة الحماسة الجماهيرية الأردنية لما يعرف بـ"سوريا الكبرى"، أو نشيد "عليك مني السلام" الذي ردده العرب تأييداً للثورة الجزائرية، وهو من نظم عبد الحميد بن باديس.

كان اهتمام الأخوين فليفل بالشعر والشعراء كبيراً. وكان جهدهما واضحاً في انتقاء الكلمات المعبرة النابضة بالحماسة والحيوية والصور الجديدة. لذلك كان تعاونهما مع دائرة واسعة من أبرز الشعراء، وفي مقدمتهم: إبراهيم طوقان، وسعيد عقل، ومعروف الرصافي، وعمر أبو ريشة، وفخري البارودي، وأمين تقي الدين،

وعبد الحليم الحجار، وبشارة الخوري، وسابا زريق، وشبلي الملاط، وحبيب ثابت، وخليل مردم.

يعتبر الأخوان فليفل الأبوين الحقيقيين للموسيقى العسكرية في لبنان، فقبلهما لم يكن يعزف تلك الموسيقى إلا الفرق العثمانية. أنشأ الأخوان فرقتهما "الأفراح الوطنية"، وكان نجاحها المستمر وقدرة عازفيها على إنقاذ بعض المراسم من مواقف محرجة وطارئة سبباً رئيساً لتكليفهما بتدشين فرقة "موسيقى الدرك" في عام ١٩٤٢، وإدارتها وتدريب عازفيها، وهي أول فرقة موسيقية خاصة بالدرك اللبناني، وسريعاً ما لفتت الانتباه بحجمها الذي بلغ ٦٥ ضابطاً وفرداً دركياً، وأيضاً بدقة عزفها، وجهوزيتها لكل المواقف، ومنها أداء السلام الوطني السوفييتي الذي كان قد تغير منذ أيام قليلة، وكان مطلوباً عزفه أمام سفير سوفييتي جديد جاء ليقدم أوراق اعتماده، فلم يستطع أن يكتم إعجابه حد الانبهار بقدرة الفرقة البالغة في عزف لحن لم تكن الفرق السوفييتية نفسها قد أنهت التدرب على عزفه. أصر السفير على تسجيل إعجابه بـ"موسيقى الدرك" في دفتر التشريفات.

في كتابه "الأخوين فليفل.. اللحن الثائر"، يوضح الباحث محمد كريّم حجم القيمة التي أضافها الرجلان إلى الغناء الوطني فيقول: "قبل أن يطلق الأخوان فليفل أناشيدهما الوطنية والقومية في دنيا العرب، مطلع القرن الماضي، كانت الناشئة في المدارس والمعاهد تؤدي الأناشيد ذات التوجهات العثمانية التي ترفع الدعاء للدولة السنية بالعز والسؤدد".

ويضيف: "وعرفت المجتمعات العربية بعض الأغاني الوصفية التي تتغنى بالوطن بشكل خجول، وتمحورت مواضيعها حول جمال الطبيعة، إلى أن أطلق الأخوان أناشيدهما ذات المضامين

الوطنية والأبعاد القومية والتي أوجدت "حالة من الاستنهاض" في العديد من البلدان العربية".

وقد تواكب جهد الأخوين فليفل في الأناشيد مع جهد ضخم في التأليف الآلي، يوضحه العميد المتقاعد جورج حرو، قائد موسيقى أوركسترا الجيش سابقاً، فيقول إن "للأخوين فليفل فضلاً كبيراً في المجالين التربوي والعسكري، وهما اشتهرا بالموسيقى العسكرية وموسيقى التشريفات. لقد كتبا كل المارشات الرسمية، ومعزوفات للطبول والأبواق والثكنات، حلت محل الألحان الفرنسية، وبينها تحية رئيس الجمهورية، تحية العلم، التأهب، تحية رئيس الوزراء، تحية رئيس مجلس النواب، تحية قائد الجيش".

امتدت السمعة الفنية للأخوين إلى كثير من البلاد العربية، فوضع محمد فليفل النشيد الوطني للجمهورية اليمنية، والنشيد الوطني السوري، واستدعته الحكومة العراقيّة لإصلاح الأناشيد التربويّة المدرسيّة في دور المعلّمين، وكذلك فعلت الحكومة السعودية سنة ١٩٥٢ لتأسيس موسيقى الحرس الملكيّ بطلب من الملك عبد العزيز آل سعود، وأعجب عبد الناصر بنشيد للأخوين فأمر ببثه في "صوت العرب" يومياً. كان الأخوان فليفل طاقة فنية كبرى، وضعت دوماً لمناصرة القضايا العربية الكبرى.

في عام ١٩٨٦ مات محمد فليفل، ثم لحق به شقيقه أحمد عام ١٩٩٤. رحل الأخوان اللذان لحنا نشيد فخري البارودي: "بلاد العُرب أوطاني".

محمد فليفل (الأخوين فليفل)

المحامي زكريا الغول

صفحة نافذة على بيروت المحروسة، ١٩ أيلول ٢٠١٩

محمد فليفل، ملحن لبناني ولد في محلة الأشرفية في بيروت العام ١٨٩٩ ودرس فيها، ظهرت ميوله الفنية منذ الصغر متأثراً بأبيه الذي كان مؤذناً في مساجد بيروت. ذهب إلى إسطنبول عام ١٩١٥ ليشارك في الحرب العالمية الأولى كضابط احتياط، عين بعد انتهاء الحرب ضابطاً في الدرك اللبناني، لكنه لم يجد نفسه في هذا المجال فاستقال ليوجه اهتمامه إلى الموسيقى، وسرعان ما استطاع إثبات وجوده كملحن من خلال عدة أعمال ناجحة.

اشترك في العام ١٩٣٨ في مسابقة تلحين النشيد الوطني السوري التي دعا إليها الرئيس محمد علي العابد، ورفضت لجنة التحكيم في البداية الاستماع إلى لحنه؛ لكن عندما انتشر النشيد في أنحاء سورية، رأت الحكومة أن تتبناه، وكافأت فليفل بمنحه وسام الاستحقاق.

استدعي إلى العراق لتدريس الأناشيد الوطنية، ثم إلى السعودية ١٩٥٠. فاز في مباراة اختيار النشيد الوطني المصري ١٩٥٩ كما لحن النشيد الوطني اليمني السابق، إضافة إلى الكثير من الأناشيد الوطنية التي لا زالت تردد في المدارس العربية، منها "نحن الشباب" و"في سبيل المجد" وموطني (نشيد) الذي يقول مطلعه: "موطني ... موطني ...

السناء والبهاء والجلال والجمال ... في رباك
والهناء والرجاء والحياة والنجاة ... في هواك
هل أراك.. غانما مكرما.. وسالما منعما
تبلغ السماء.. في علاك.. هل أراك."

ختم القرآن الكريم في كتّاب الشيخ مصباح دعبول الكائن في حي آل بيضون قرب جامع الأشرفية. ثم انتقل مع أخيه أحمد إلى مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية فالمدارس السلطانية وحوض الولاية.

كان لهما موهبة فنيّة ورثا جزءاً منها من والديهما، وتعهداها بالعلم والتدريب والمراس. كان والدهما يتمتع بحس موسيقي فطري وشعور بالكرامة العربيّة، اشترى كتاب سيرة عنترة وطلب من ابنيه قراءتها له إعجاباً منه ببطولات العرب وأمجادهم. وعندما انتقل إلى السكن في محلة البسطة الفوقا، كان يتوجه إلى دكان زين لبيع الألبان في تلك المحلة، ويأخذ معه وعاءً خاصاً، ويقف منتظراً دوره وهو يردد: "لبنك لبنك يا لبّان طيب لبنك يا لبّان".

وكان ديب صبرا، جد محمد وأحمد لأمهما، يتمتع بصوت جميل ويتولى الأذان وفرقة الإنشاد الديني في الجامع العمري الكبير، يصطحب معه حفيده محمد لحضور حفلة الإنشاد وسماع القصائد ومنها أبيات من نظم الشيخ مصطفى نجا، هذا الاستعداد الفني دفع الشقيقين فليفل إلى دراسة الموسيقى، فتابع محمد دراستها في دار المعلمين التركية، فيما كان أحمد يدرس البيانو والنوتة الموسيقية. وكانا يحضران مع والديهما حفلات موسيقيّة، كانت تؤديها فرقة موسيقى المتصرفية التي تأتي إلى بيروت، وتعزف في منشية المتحف وفي حديقة رستم باشا بإشراف ضابط إيطالي.

استدعي محمد خلال الحرب العالمية الأولى إلى المدرسة الحربية في إسطنبول، فوجدها فرصة سانحة لمتابعة دراسة الموسيقى في معهد الفنون التركية. فيما كانت فكرة تكوين فرقة موسيقية قد اختمرت في ذهن أحمد في بيروت، الذي كان قد تعرَّف على عدد من الشباب الملمين بالموسيقى، وما أن عاد محمد من إسطنبول

حتى باشر بشراء الآلات وأسسا فرقة من ستة وعشرين شاباً، كانا يجمعانهم في حديقة بيتهما في البسطة، يعزفون الأناشيد والألحان الشائعة، ثم أخذت الفرقة للمدارس والجمعيات وفي الأعياد الشعبية، وعُرفت باسم (موسيقى الأفراح الوطنيّة).

في العام ١٩٤٢م، اتصل العميد سليمان نوفل بالأخوين فليفل من أجل تأسيس فرقة موسيقى عسكرية، فصدر المرسوم رقم ٦٤٣٩ بتاريخ ١ أكتوبر ١٩٤٢م بتأسيس موسيقى الدرك.

اشتهر الأخوان فليفل بأنهما لحنا أكثر من ألف قصيدة في موضوعات وطنيّة وقوميّة واجتماعيّة وتربويّة، لشعراء وأدباء من مختلف أرجاء الوطن العربي، ولم يفرقا بين دين وآخر، بل كانا رسل سلام ومحبة وخير للمجتمع، لحنا قصائد بمدح النبي والمسيح والعذراء مريم.

تعرَّض الأخوان فليفل إلى معارك عنيفة مع سلطات الانتداب. فقد وضعا لحناً يتغنّى بالوطن الأكبر، فطردا من وظيفتهما، ثم أعيدا إليها بعد تدخل الشيخ محمد الجسر وجبران التويني والرئيس شارل دباس، وفي العام ١٩٣٩ لحنا نشيد العلى للعرب من نظم الشاعر المصري عبد الحميد زيدان، فهددتهما حكومة الانتداب الفرنسي بالكف عن تلحين مثل هذه الأناشيد تحت طائلة النفي إلى معتقل المية ومية.

وضع الأخوان فليفل للجيش اللبناني عدة مارشات ومعزوفات للطبول والأبواق والتشريفات والثكنات، حلّت محل الألحان الفرنسية، ولا تزال موسيقى الدرك والجيش اللبناني تعزف ألحانهما حتى الآن.

ارتبط اسم فليفل بالألحان الوطنية والقومية في الوطن العربي. والبارز في مسيرة الاخوين فليفل هو اكتشاف الفنانة فيروز. فغداة اعلان الحكومة اللبنانية الاحتفال بعيد الشجرة في الاول من كانون الأول ١٩٤٧، كلفت محمد فليفل تلحين نشيد للمناسبة، فجال فليفل على المدارس الرسمية لاختيار التلاميذ الذي سينشدون هذا النشيد.

وبوصوله الى مدرسة الإناث الأولى في منطقة حوض الولاية قدمت له مديرتها سلمى قربان تلميذة في الرابعة عشرة من عمرها اسمها نهاد حداد، لفت صوتها انتباه محمد فليفل على الفور وبعد موافقة اهلها، ضمّها الى الفرقة لتتفرّد بصوتها ببيت: "بالشجر يتعالى في الهواء"، والذي صاغه بلحن يتطلب خامة صوتية معينة، إضافة الى المهارة في الأداء.

وتبنى فليفل نهاد حداد موسيقياً، وأدخلها الكونسرفاتوار، وعن تلك الفترة يروي قائلا: "اتصلت بوديع صبرا، مدير الكونسرفاتوار آنذاك، وطلبت منه تسجليها على نفقتي، لكن الاستاذ صبرا، سجلها بلا مقابل...". وبعد خمس سنوات من الدرس والتدريب في الكونسرفاتوار اللبناني، وفي منزل آل فليفل، تأكد محمد فليفل أن موهبة تلميذته قد تبلورت وأنه قد آن الأوان لانطلاقها في عالم الفن الرحب. ورأى أن الخطوة الأولى لا بد أن تكون من الإذاعة اللبنانية.

في الامتحان الإذاعي غنت "يا ديرتي" لأسمهان، فحظيت بإعجاب الملحن حليم الرومي، واختار لها اسم فيروز. وفي الإذاعة ايضاً تعرفت فيروز الى عاصي الرحباني.

كرمت الفرقة العربية للأناشيد الوطنية الأخوين فليفل خلال احتفالية الدوحة عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٠ كما كرمهما نادي الجسرة الثقافي وأمين عام الاحتفالية وقدم الجميع جوائز تقديرية لممثل الأخوين فليفل المهندس جمال فليفل على مسرح قطر الوطني.

قدمت بيروت مجموعة كبيرة من المبدعين في شتى المجالات، والأخوين فليفل من المبدعين الكبار

وتبقى بيروت سيدة بين العواصم.

مقتطف من مقال: **الأخوان فليفل طائران مغرِّدان في سماء النغم الوطني**
د. فاروق الجمال
صحيفة اللواء ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٧

الأخوان فليفل طائران مغرِّدان في سماء النغم الوطني، دخلا قلوب الملايين وكرسا الانتماء للأرض.

انه عيد الاستقلال. ومع صدى الذكرى الوطنية يتذكر المواطن اللبناني "المغلوب" على أمره (صنّاع التاريخ) الموسيقى الوطني أمثال: شيخ الموسيقى القومية المقدم محمّد فليفل وحكاية «لحن لم يكتمل» فصوله، وهو «النشيد الوطني» للشاعر رشيد نخلة ابن أرز الباروك الذي سطر أرزه وخلوده لنشيد الأناشيد لسليمان الحكيم.

رائحة أطيابك فوق جميع الأطياف
شفتاك تتقطران شهدا أيتها العروس،
وتحت لسانك عسل ولبن
ورائحة ثيابك كرائحة لبنان يا حبيبي.

في عيد الاستقلال ورجالاته يعود بنا "قبض الريح" وأنشودة الزمان والمكان "قلعة بشامون" ورجالات الوطن وراء القضبان طمعاً بالكرامة والسيادة. هؤلاء الأبطال كانوا بعيداً عن الحكم... قريباً منه؟! بشارة الخوري، صائب سلام، عدنان الحكيم، مجيد أرسلان، حبيب أبو شهلا، صبري حمادة وعمر الزعني.

حين أقدم الأخوان محمّد وأحمد فليفل على وضع (النوطة الموسيقية) للنشيد اللبناني في مطالع (الاستقلال التشريني) كانت بيروت تستقبل تشرينها الثاني، تستقبل شتاءها الأول.

وإذا كان لمدن العالم ربيع واحد، وللأخوين فليفل ربيعان، واحد في الربيع، وآخر في الخريف، وبين الربيعين (الأخوين فليفل) تتزين مدينتهم "المحروسة" يقول الباحث والمؤرخ البروفسور د. حسان حلاق، تتزين "المحروسة" بالثوب الأخضر الموشى بآلاف الورود الحمراء والصفراء والبيضاء، وأشجان "الأخوين فليفل" مستقبلة السكان البيارتة المحتفلين بأعياد مدينتهم البيروتية.

لماذا استبعد "الأخوان فليفل" عن تلحين كلمات النشيد اللبناني؟ "محمد وأحمد فليفل" رجلا الشعر وعمق المعرفة الموسيقية الوطنية و"حراس" الموسيقى القومية.

بعيداً عن وهم شعارات الحرية والرأي، والرأي الأخر؟! التي أشرفت على إجراء "القرعة" لاختيار الموسيقى المتفوق المناسب ليتولى القيام بتلحين النشيد الوطني.

جاء الرد من صاحب (المفكرة الريفية) أمين نخلة، نجل رشيد نخلة ما معناه: "السكوت فضيلة" لا سيما وأن الأمين هو المحامي ‘‘المحنك’’. وكانت تشهد له قاعات المحاكم في قصر العدل القديم بـ "باب ادريس" والقضاة د. صبحي المحمصاني، وأنور الخطيب، وإدمون رباط، وعبد الباسط غندور ومنير المحمصاني وغيرهم.

فيروز... ليست وحدها، عبر الأثير القاسم المشترك، للإذاعات العربية، التي تتقاسم انتماءات الشعب اللبناني.

دخلت المارشات والمطروقات والأناشيد الوطنية، التي وضعها الأخوان فليفل لعبة القواسم المشتركة بين سوريا ولبنان، ومصر (مرايا الذاكرة الوطنية).

عام ١٩٤٢، وفي عهد ألفرد نقاش اتصل العميد سليمان نوفل (مؤسس تلفزيون لبنان عام ١٩٥٧) بالأخوين فليفل من أجل تأسيس فرقة موسيقى عسكرية، فصدر المرسوم رقم ٦٤٣٩ تاريخ ١٩٤٢/١٠/١ بتأسيس موسيقى الدرك.

أشتهر "الأخوان فليفل" بتلحين ٢٠٠٠ قصيدة لشعراء وأدباء من مختلف الوطن العربي: الأخطل الصغير، عمر فروخ، ومحمّد يوسف حمود والأديب والشاعر البيروتي عبد الرحيم قليلات، وكانا رسل سلام للمجتمع، ولحنا قصائد بمدح النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم) والمسيح عليه السلام والعذراء مريم.

أول نشيد لحناه في العشرينات من نظم الشاعر البيروتي مختار التنير:

سوريا يا ذات المجد
والعزة في ماضي العهد
إن كنت لنا أهنى مهد
فثراك لنا أهنى لحد.

الشاعر عبد الرحيم قليلات أول من سمع الأخوين فليفل، ونظم لهما عدّة قصائد وأناشيد:

تعهدي دروسنا
وبيضي طروسنا
وهذبي نفوسنا
وروضي البدن.

ومن مصر إلى لبنان... رحلة نيلية على مراكب الشمس، عام ١٩٣٩ لحن الطائران المغردان في سماء أرض النيل نشيد "العلى للعرب" للشاعر المصري عبد الحميد زيدان.

ونشيد "المرشدات" و "يا حياة المجد" ونشيد "الكشاف":
غنت الطير بألحان الربوع
فأهاج الصوت اشجان الضلوع.

وعام ١٩٥٢ شارك الطائران المغردان في سماء لبنان بعرض الاستقلال في شارع فؤاد الأول. وعام ١٩٤٦ (٢١ حزيران) شاركا مع موسيقى الدرك في الجامعة الأميركية بتوزيع الشهادات.

ونشيد فلسطين للشاعر إبراهيم طوقان:
وطني أنت لي
والخصم راغم.

وعام ١٩٣٦ لحنا نشيد يا تراب الوطن للأخطل الصغير، ونشيد "الشجرة":
جنة في وطني من صباح الزمن
تملأ الأرض اخضرارا.

وللشاعر فخري البارودي:
بلاد العرب أوطاني
من الشام لبغداد.

وللجامعة العربية نشيداً للشاعر محمّد المجذوب (مصر) اعتمد رسمياً.

لم يفز الطائران المغردان في النشيد الوطني اللبناني وفازا بلحن النشيد الوطني السوري "حماة الديار" لخليل مردم بك.

ونشيدين ولحنين نجحا في "التصفية" أولهما: أسرجوا الخيول واقرعوا الطبول، واقحموا السهول واحرسوا الجبل، للشاعر الشوفي عبد الحليم الحجار، والثاني لرشيد نخلة "كلنا للوطن" لحنه وديع صبرا.

اختارت اللجنة لحن وديع صبرا لأنه "يطابق" المارسيلياز، نشيد فرنسا الوطني (...)؟

في منتصف خمسينات القرن الماضي استقبل الزعيم جمال عبد الناصر الأخوين فليفل برئاسة مؤسس حزب النجادة عدنان الحكيم وشقيقه محمود الحكيم "ابو مصطفى"، والدكتورة زاهية قدورة أول عميدة لكلية الآداب، الجامعة اللبنانية.

عام ١٩٢٣ أتخذ "الأخوان فليفل" لون الأناشيد الوطنية والتربوية فأسسوا فرقة الأفراح الوطنية وتعنى بنشر الموسيقى الوطنية وعام ١٩٤٢ تحوّلت إلى موسيقى "الدرك اللبناني" وافرادها ٦٠ عازفاً.

أما (القومية النغمية) فتعلمناها من ترنيم طائرين مغردين في سماء لبنان "الأخوين فليفل".

الاخوان فليفل في ذكرى استقلال لبنان الـ ٤٧ فيما كل بيت لبناني وعربي وحسب "الأخوين" فليفل اليوم... انهم قد دخلوا كل قلب وعرفوا كيف يعلمون "ألف باء" الوطن و"أبجدية" فقد النّاس فيه كل حب!؟

الأخوان "محمد واحمد سليم فليفل"
اللذان صنعا أحلى الأناشيد الوطنية

عبد الله المدني
الجسرة الثقافية الالكترونية القطرية، ٧ نيسان ٢٠٢١

من المواد التي اختفت من مناهجنا الدراسية مادة النشيد، التي كانت تـُدَّرس في المرحلة الابتدائية، وكان الغرض منها تلقين الطالب مختارات من الأناشيد العربية المُلهبة للحماس، أو الباعثة على الاعتزاز بالوطن وترابه وسيادته وقيمه، حيث كان المدرس يختار لطلبته عددا من الأناشيد الحماسية ويطلب منهم حفظها عن ظهر قلب، وترديدها وفق إيقاعات موسيقية منظمة وجميلة.

ومن رحم هذه المادة خرجت فرق الاناشيد المدرسية التي كانت تصدح في المناسبات المدرسية السنوية، أو في المناسبات الخاصة، أو أثناء طوابير الصباح قبل دخول الطلبة إلى صفوفهم بأجمل الاناشيد بمصاحبة فرقة موسيقى الكشافة، فتثير في الأنفس قيم العزة والكرامة، وتزرع فيها حب الوطنين الصغير والكبير، وتبشرها بالحرية والوحدة والنهضة والريادة.

ومن بين الأناشيد التي حفظناها ورددناها زمنا في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، ومازالت محفورة في نفوسنا وعقولنا لا تفارقها رغم تقادم السنين نشيد "موطني" من نظم إبراهيم طوقان وألحان الأخوين فليفل، الذي يقول مطلعه:

موطني ... موطني.. .
السناء والبهاء والجلال والجمال ... في رباك
والهناء والرجاء والحياة والنجاة ... في هواك

هل أراك ... غانما مكرما... وسالما منعما
تبلغ السماء ... في علاك ... هل أراك.

والمعروف أن هذا النشيد اختير منذ ظهوره في عام ١٩٣٤ نشيدا رسميا لفلسطين، ثم تم اعتماده نشيدا فدائيا إبان الثورة الفلسطينية في الستينات، وأخيرا صار نشيدا وطنيا لعراق ما بعد سقوط صدام حسين، حيث حل مكان نشيد أرض الرافدين لشفيق الكمالي.

وأثناء وبعد العدوان الثلاثي على بورسعيد في عام ١٩٥٦، شاع على نطاق واسع نشيد أثير ظل الناس يرددونه طويلا هو نشيد "الله أكبر" من أداء المجموعة وكلمات عبد الله شمس الدين وألحان الموسيقار محمود الشريف. ومن كلمات هذا النشيد، الذي اتخذه نظام معمر القذافي نشيدا وطنيا لليبيا منذ قيامه في عام ١٩٦٩ وحتى سقوطه في عام ٢٠١١:

الله أكبر الله أكبر
الله أكبر فوق كيد المعتدي
والله للمظلوم خير مؤيد
أنا باليقين وبالسلاح سأفتدي
بلدي ونور الحق يسطع في يدي
قولوا معي قولوا معي
الله الله الله أكبر
الله فوق المعتدي.

وكان ضمن الأناشيد المقررة على الطلبة بصفة دائمة نشيد "بلاد العرب أوطاني" الذي يتغنى بوحدة البلاد والشعوب العربية، وهو من كلمات فخري البارودي وألحان الأخوين فليفل، ويقول مطلعه:

بلادُ العُربِ أوطاني
منَ الشّـامِ لبغدان
ومن نجدٍ إلى يَمَـنٍ
إلى مِصـرَ فتطوانِ
فلا حد يباعدنا
ولا دين يفرقنا
لسان الضاد يجمعنا
بغسان وعدنـان
لنا مدنية سلفت سنحييها وإن دثرت
ولو في وجهنا وقفت دهاة الإنس والجان
فهبوا يا بني قومي إلى العلياء بالعلم
وغنوا يا بني أمي بلاد العرب أوطاني.

والأخوان فليفل قاما أيضا بتلحين نشيدين أثيرين سكنا أفئدة الملايين من العرب، أولهما نشيد "حماة الديار" من كلمات الشاعر السوري خليل مردم بك، وهو نشيد تم تبنيه في عام ١٩٤٦ نشيدا وطنيا رسميا لسوريا، وظل كذلك حتى انضمام سوريا إلى مصر في الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ حينما تم استبداله بنشيد رسمي آخر، لكنه عاد نشيدا رسميا للجمهورية العربية السورية بعد الانفصال عام ١٩٦١. ومن كلمات هذا النشيد:
حماة الديار عليكم سلام
أبت أن تذل النفوس الكرام
عرين العروبة وعرش الشموس
بيت حرام حمى لا يضام
ربوع الشام بعالي السماء
تـُحاكى بروج العلا السنا
فأرض زهت بالشموس الوضا
سماء لعمرك أو كالسما

رفيف الأماني وخفــق الفؤاد
على علم ضم شمل البلاد.

أما النشيد الثاني فهو "عليك مني السلام" وهو نشيد اقترن بثورة تحرير الجزائر وحفظه وردده ملايين العرب إبان سنوات هذه الثورة في الخمسينات وأوائل الستينات، وهو من نظم الشاعر ابن باديس الجزائري، وتقول كلماته:

عليك مني السلام يا أرض أجدادي
ففيك طاب المقام وطاب إنشادي
عشقت فيك السمر وبهجة النادي
عشقت ضوء القمر والكوكب الهادي
والليل لما اعتكر والنهر والوادي
والفجر لما انتشر في أرض أجدادي
أهوى عيون العسل أهوى سواقيها
أهوى ثلوج الجبل ذابت لآليهــــــــا
هذي مجاري الأمل سبحان مجريها
ذابت كدمع المقل في أرض أجدادي.

ولا ننسى في هذا السياق نشيدا آخر لحنه الأخوان فليفل من كلمات الأخطل الصغير (بشارة الخوري) ألا وهو نشيد "نحن الشباب" الذي تقول كلماته:
نحن الشباب لنا الغد ... ومجده المخلد
شعارنا على الزمن ... عاش الوطن
بعنا له يوم المحن ... أرواحنا بلا ثمن
يا وطني عداك ذم ... مثلك من يرعى الذمم
علمتنا كيف الشمم ... وكيف يظفر الألم
السفح والجداول ... والحقل والسنابل

وما بنى الأوائل ... نحن له معاقل
الدين في قلوبنا ... والنور في عيوننا
والحق في يميننا ... والغار في جبيننا
لنا العراق والشآم والقدس والبيت الحرام
نمشي على الموت الزؤام إلى الأمام إلى الأمام
نبني ولا نتكل ... نفنى ولا ننخذل
لنا يد والعمل ... لنا غد والأمل
نحن الشباب ... نحن الشباب.

لكن من هما الأخوان فليفل اللذان ارتبط اسماهما بكل الأناشيد الخالدة سالفة الذكر، وغيرها كثير مثل "في سبيل المجد" لشبلي الملاط، و"إنّ لبنان لنا" للشاعر جورج غريب، ونشيد جامعة الدول العربية للشاعر محمد المجذوب، وما هي الظروف التي بزغ فيها نجمهما وشهدت ولادة دورهما العظيم في مواكبة الشعوب العربية واستنهاضها نحو الحرية والاستقلال؟

الأخوان فليفل هما محمد المولود عام ١٨٩٩ وأحمد المولود عام ١٩٠٦، وكانت ولادتهما في حي الأشرفية لعائلة بيروتية معروفة بإرثها الموسيقي والغنائي، لذا لم يكن غريبا أن يتأثرا منذ الصغر بصوت والدتهما وبجدهما وبخالهما عازف العود البارع عبد الغني صبرا.

من بعد أن درسا القرآن في كـُتاب الشيخ مصباح دعبول في حي آل بيضون قرب جامع الأشرفية، التحقا بمدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، ثم دخلا دار المعلمين التركية، حيث تعلما العزف على بعض الآلات وعرفا كتابة النوتة الموسيقية، الأمر الذي فتح أمامهما أبواب العمل كمدرسين لمادتي الموسيقى والرياضة في مدرسة "حوض الولاية". وطبقا لبحث كتبه عنهما

الباحث محمد كريّم ونُشر في كتاب أصدرته "جمعية عِرب" اللبنانية للموسيقى تحت عنوان "اللحن الثائر"، فإن الأخوين فليفل كان لهما دور كبير في تأسيس "فرقة الأفراح الوطنية"" أولاً، ثم فرقة موسيقى قوى الأمن الداخلي (الدرك اللبناني سابقاً) عام ١٩٤٣، ناهيك عن جهودهما المشهودة في وضع العديد من المارشات والمعزوفات العسكرية للجيش اللبناني.

كما لعب الأخوان محمد وأحمد سليم فليفل دورا لا يمكن انكاره في إدخال الأناشيد إلى المناهج التعليمية، مما أسهم في ترقية أذواق النشأ الجديد وترسيخ المفاهيم الأخلاقية والوطنية لديهم، خصوصا وأنهما ظهرا في مرحلة كانت فيها بلاد الشام تشهد غليانا سياسيا، ونعني بها المرحلة ما بين زوال الاحتلال العثماني وبداية الانتداب الفرنسي، وما رافق تلك المرحلة من سعي الشعوب العربية إلى الحرية والاستقلال، والتمرد على كل ما هو عثماني، ومن بينها أناشيد المديح في السلطان عبد الحميد ودولته.

وبسبب دورهما وجهودهما الاستنهاضية من خلال صناعة ونشر الأناشيد الوطنية تعرض الرجلان إلى الكثير من المصاعب في حياتهما على يد سلطات الانتداب الفرنسي، التي لم تكتف بفصلهما من وظيفتيهما، بل رفضت أيضا اشتراكهما في مسابقة أعلنت عنها الحكومة السورية لتلحين قصيدة "حماة الديار" عام ١٩٣٨. وهو ما دفع الأخوان إلى اللجوء إلى رئيس مجلس النواب السوري الزعيم الوطني المرحوم فارس الخوري للشكوى، فوعدهما الأخير بالتريث وحثهما في الوقت نفسه على نشر اللحن على أوسع نطاق. وهكذا ما أنْ حصلت سوريا على استقلالها عام ١٩٤٦ حتى كانت قصيدة "حماة الديار" بلحن الأخوين فليفل منتشرة بين الجماهير، فأعلنها فارس الخوري نشيدا وطنيا رسميا لسوريا المستقلة.

الأخوان فليفل رائدا موسيقا الأناشيد الوطنية

هما أول من اكتشف موهبة فيروز
الكاتب والناقد الياس سحاب
مجلة دبي الثقافية، العدد ١١٨ آذار ٢٠١٥

كنت قد تناولت في عدد من مقالاتي في "دبي الثقافية" بعض الظواهر الموسيقية في لبنان، مما يُعتبر المقدمات التاريخية الممهدة لظهور النهضة الموسيقية المشرقية في لبنان في النصف الثاني من القرن العشرين.

وقد تناولت في هذه المقالات ظاهرة خالد أبو النصر، وزكية حمدان، وظاهرة الرواد الثلاثة للأغنية الشعبية اللبنانية، سامي الصيداوي، ونقولا المني، وفيلمون وهبي.

غير أنه من الإنصاف أن نشير إلى الظاهرة الموسيقية التاريخية التي سبقت كل هذه الظواهر، والتي تتمثل في مدرسة "الأخوين فليفل" اللذين ولدا في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، واللذين أطلقا مدرسة موسيقا الأناشيد الوطنية كرواد لها في المشرق العربي، استكمالاً للبروز الأول لهذه الظاهرة قبل ذلك في مصر.

من المفيد أن نذكر في مطلع هذا المقال أن مصر عرفت الولادة الأولى لهذه الظاهرة عن طريق بعثات محمد علي الأولى إلى فرنسا منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر حيث ترافقت عملية بنائه القوات المسلحة المصرية الحديثة، عملية أخرى لإيجاد مدرسة الموسيقا العسكرية، عن طريق إرسال البعثات من أجل ذلك إلى فرنسا في وقت مبكر من القرن التاسع عشر، وإنشاء أكشاك تقدم

فيها هذه الفرق الأولى للموسيقى العسكرية أعمالها الموسيقية لجماهير الشعب المصري.

ويبدو أن الشيخ سيد درويش كان أول الموسيقيين المصريين الذين تفاعلوا مع هذه الظاهرة الموسيقية تفاعلاً مباشراً، فأنشأ في مطلع القرن العشرين (١٩١٧ – ١٩٢٣) مجموعة من الأناشيد الوطنية المستمدة موسيقياً من أعمال فرق الموسيقا العسكرية، من ذلك مثلاً نشيد "قوم يا مصري" الملحن على إيقاع "المارش" العسكري.

أما الأخوان فليفل (محمد وأحمد) فلم يلبثا أن واصلا هذه الظاهرة في وقت مبكر من النصف الأول من القرن العشرين، ولكن بتفاصيل مختلفة، سيرد ذكرها فيما تبقى من هذا المقال.

ولد الأخ الأكبر محمد فليفل في العام ١٨٩٩، وهو العام المرجح لولادة كل من عبد الوهاب وأم كلثوم، التي تمّت في ذلك العام، أو قبله بعام، أو بعده بعام. أما الأخ الأصغر أحمد فقد ولد في العام ١٩٠٦، وهو يقابل عام ولادة رياض السنباطي في مصر.

ولد الأخوان فليفل في أسرة لها إلمام جيد بالإنشاد الديني، شأنهم في ذلك شأن كل عباقرة الموسيقا والغناء في تلك المرحلة وما تلاها.

تقول سيرة هذين الموسيقيين الرائدين في مجال تلحين الأناشيد الوطنية، والتي ظهرت مؤخراً في كتاب "اللحن الثائر" بقلم المخرج الإذاعي اللبناني محمد كريّم، ان الأخوين ولدا في حي الأشرفية ببيروت، وقد تلقيا مبادئ العلم الأولى وحفظ القرآن الكريم في كتّاب الشيخ محمد دعبول بحيّ الأشرفية ببيروت، ثم

التحقا بعد ذلك بالمدرسة الأولى للمقاصد الإسلامية "دار النجاح"، قبل أن يلتحقا بـ"دار المعلمين التركية"، ذلك أن لبنان كان في تلك الفترة لا يزال خاضعاً لحكم الإمبراطورية العثمانية.

كان والد الأخوين فليفل، كما تقول سيرتهما، يتمتع بحس موسيقي فطري، أما والدتهما فكانت ذات صوت جميل، تحفظ التواشيح والابتهالات الدينية والمدائح النبوية عن والدها الشيخ "ديب صبرة" شيخ مؤذن الجامع العمري الكبير في بيروت، وكثيراً ما كان الأخوان محمد وأحمد يترددان على جدهما ديب صبرة، يستمعان إليه في أداء الابتهالات الدينية والمدائح النبوية وتجويد القرآن الكريم.

وسط هذا الجو العبق بالموسيقا الأصيلة ترعرع الأخوان محمد وأحمد، وبدأت تظهر عليهما مبكراً معالم الموهبة الموسيقية. وقد تجلى ولعهما المبكر بالموسيقا بما أبدياه من تعلق بالفرق الموسيقية العسكرية العثمانية.

وفيما كان الناس يتابعون هذه الفرق بالالتفاف حولها في الشوارع العامة، كان الأخوان فليفل يتجاوزان ذلك إلى مرافقة هذه الفرق في ذهابها وإيابها إلى منطقة السيوفي في بيروت، حيث كانت تعزف المقطوعات الموسيقية والمارشات العسكرية التركية.

ثم كانا يلحّان على والدهما لاصطحابهما إلى الحفلات التي كانت هذه الفرق تؤديها نهاري الجمعة والأحد، في محلة فرن الشباك، وحديقة جسر الباشا، بحضور المتصرف العثماني شخصياً.

ويبدو أن هذه النشأة الموسيقية الأولى، كانت عاملاً حاسماً في تحديد المسار الموسيقي بعد ذلك لهذين الأخوين الموهوبين،

فتخصصا إلى نهاية العمر، بتلحين مجموعة ضخمة من الأناشيد الوطنية العربية، لكبار الشعراء العرب، كما فعلا بعد ذلك.

دخل البيانو أول مرة دار آل فليفل للمرة الأولى في العام ١٩١٩، ولما تأكد الوالد أن كل أولاده قد عشقوا هذه الآلة، استحضر لهم معلمة إيطالية، حتى يكون إلمامهم بالعزف على البيانو مبنياً على أسس علمية بحتة.

بعد ذلك التحق محمد بموسيقا دار المعلمين التركية، وأحمد بفرقة موسيقا دير المخلص، ثم عمّق الأخوان فليفل بعد ذلك دراسة الموسيقا على أيدي أساتذة كبار، وتلقيا علوم الهارمونيا على أيدي أستاذهما وديع صبرا، ملحن النشيد الوطني اللبناني "كلنا للوطن".

ما أن بلغ محمد وأحمد فليفل مرحلة النضج بعد أن تمرسا بمراحل عديدة من الدراسة الموسيقية، حتى نضجت لديهما فكرة إنشاء فرقة موسيقية كبيرة، حملت اسم "فرقة الأفراح الوطنية"، التي بدأت تقدم حفلاتها الموسيقية في المنتديات العامة ببيروت.

غير أن بإمكاننا القول أن الشرارة الأولى التي أوقدت توجّه الأخوين فليفل إلى تلحين الأناشيد الوطنية، قد ولدت في منزل الشاعر البيروتي الذي كان يرعاهما (عبد الرحيم قليلات)، ففي هذا المنزل تعرّف محمد وأحمد فليفل إلى طالب فلسطيني من طلاب الجامعة الأميركية في بيروت، الذي أصبح فيما بعد أكبر شعراء فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، هو الشاعر إبراهيم طوقان، فنظم لهما نشيدين تحولا فيما بعد إلى بعض أهم ما لحن الأخوان فليفل من الأناشيد الوطنية، هما نشيد "موطني موطني"، ونشيد "وطني أنت لي والخصم راغم".

بعد هذه البداية اللامعة، توجّه الأخوان فليفل إلى التعامل مع عدد من أكبر شعراء النصف الأول من القرن العشرين، مثل جبران خليل جبران، وسعيد عقل، وبشارة الخوري (الأخطل الصغير)، وشاعر العراق الكبير معروف الرصافي، وأحمد الصافي النجفي، وغيرهم من الشعراء اللبنانيين والسوريين، فانطلقا في ما يشبه العاصفة العاتية في تلحين مئات الأناشيد في مختلف ألوانها، من الوطني، إلى التربوي، إلى القومي العربي، إلى الاجتماعي.

وقد لاقت معظم هذه الأناشيد رواجاً جماهيرياً غير مسبوق بخاصة في لبنان وفلسطين وسوريا والعراق، فكان من أشهرها على سبيل المثال لا الحصر، نشيد "بلاد العرب أوطاني، من الشام لبغدان، ومن نجد إلى يمن، إلى مصر فتطوان".

ومن أشهر تلك الأناشيد كذلك نشيد "نحن الشباب لنا الغد" من شعر الأخطل الصغير.

ولعل من أشهر الأحداث التي مرّ بها الأخوان فليفل في مرحلة التمهيد للنهضة الموسيقية الكبرى التي عمّت لبنان في النصف الثاني من القرن العشرين، أنهما كانا يُمثلان البيئة الموسيقية الأولى التي ترعرعت فيها الفتاة الموهوبة نهاد حداد، التي أصبحت فيما بعد فيروز، بعد التحاقها بالإذاعة اللبنانية، وانضمامها لمؤسسة الأخوين رحباني.

فيؤكد العارفون في أوساط الأخوين فليفل أنهما أول من اكتشف موهبة فيروز، وأنها ظلت مواظبة على الانضمام لفرقة الأخوين فليفل سنوات طويلة خلال أربعينات القرن المنصرم، تؤدي دور الأداء المنفرد في عدد من الأناشيد الوطنية، وتلقت على يدي

الأخوين فليفل دروس الإلقاء السليم للغة العربية، استناداً إلى الإنشاد الديني وتلاوة القرآن الكريم.

وقد ظلّ الأخوان فليفل مواظبين على إغناء المكتبة الموسيقية العربية بعشرات الأناشيد، حتى وضعا لحناً لقصيدة الشاعر السوري سليمان العيسى "من المحيط الهادر، إلى الخليج الثائر، لبيك عبد الناصر"، وهو غير اللحن الآخر الذي وضعه للنشيد نفسه الموسيقار محمود الشريف. وجدير بالذكر أن هذا النشيد كان مناسبة لاستقبال خصّ به الرئيس جمال عبد الناصر الأخوين فليفل فيما بعد.

وفي هذا المجال من المهم الإشارة إلى أن الأخوين فليفل تقدما لمسابقة تلحين النشيد الوطني اللبناني، لكن الاختيار وقع على نشيد وديع صبرا. غير أن الاختيار وقع عليهما فيما بعد، فوضعا لحن النشيد الوطني السوري "حماة الديار عليكم سلام".

ويبدو أن عدداً غير قليل من أناشيد الأخوين فليفل قد أخذ طريقه إلى الخلود، حيث أتوقع أن يُعاد تقديم عدد من هذه الأناشيد بالتوزيع الأوركسترالي التي تستحقه.

نشيد موطني والأَخوَان فليفل
الباحث عبد الحسين شعبان
صحيفة الخليج، ١٧ تموز ٢٠١٣

لا يعرف كثيرون أصل نشيد موطني الذي ظلوا يرددونه على مدى عقود من الزمان، ولا سيّما في مرحلة النهوض الثوري، ضد الاستعمار ومن أجل الانعتاق والتحرّر والاستقلال، وقد استعاد العراقيون بعد خلاف عقب الاحتلال نشيد موطني، فما هو أصله؟ ومن قام بوضع كلماته؟ ومن لحّنه ومن أدّاه؟

ربّما لايزال كثيرون أيضاً يجهلون الأخوان فليفل محمد وأحمد اللذان أدّيا هذا النشيد، بل وجعلا له رمزية وطنية مقدسة على المستوى الشعبي، ولعلّ ما قدّماه من جهد موسيقي إبداعي رائع على المستوى العربي، أسهم في إذكاء الروح الوطنية وفي إعلاء شأن الهوّية وفي لحمة الأمّة العربية.

فحتى انطلاقة الأخوين فليفل كانت المدارس والمحافل في العالم العربي تهتف للسلطان العثماني وتدعو له بالنصر وللدولة العثمانية بالعزّ والسؤدد، ولكن المزاج الشعبي العربي بدأ بالتغيّر والتحوّل منذ أن انتشرت أناشيدهما الوطنية والقومية، ولا سيّما بعد فترة تململ وإرهاص عاشتها المجتمعات العربية المتطلّعة إلى التخلص من ربقة التبعية.

وقبيل انتهاء عهد الهيمنة العثمانية وبداية الحرب العالمية الأولى ومن ثم الانتداب المفروض على عدد من البلدان العربية بعد تجزئتها، شهدت المنطقة نوعاً من الأناشيد والأشعار ذات الطابع التجريدي التي تتحدث عن حب الوطن، في حين كانت مرحلة الأخوان فليفل تعبيراً عن توجهات وطنية وأبعاد قومية، تدعو إلى

التحرر من الاحتلال، وتحثّ على التمرّد والنهوض، وتحاول إدخال الحماسة إلى النفوس، لاسيّما الشباب، والتخلّص من عقدة الخوف التي أدت إلى الاستكانة

ويمكن القول إن نشيد موطني هو النشيد الوطني للأمة العربية، حيث انتشر وشاع على نحو شامل في كل من لبنان، وسوريا، والعراق، ومصر وفلسطين. والنشيد من كلمات الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان حيث كان الأخوان فليفل قد تعرّفا إليه حين كان طالباً في الجامعة الأمريكية، وذلك في منزل الشاعر عبد الرحيم قليلات، ثم قاما بتلحين النشيد وأدائه، وهكذا انتشر نشيد موطني مثل النار في الهشيم:

"موطني ... موطني ... الجلال والجمال والسناء والبهاء ... في رباك في رباك ... والحياة والنجاة والهناء والرجاء ... في هواك في هواك".

أما نشيد نحن الشباب فقد انتشر في (الأربعينات) بين الشباب المتعلّم، ولا سيّما طلاّب الجامعات وأوساط المثقفين ومنتسبي بعض الأحزاب، حيث كانوا يخرجون في تظاهراتهم يردّدون نشيد نحن الشباب وخصوصاً في لبنان:

"نحن الشباب لنا الغد ... ومجده المخلّدُ ... نحن الشباب ... شعارنا على الزمنْ ... عاش الوطنْ ... بعنا له يوم المحن ... أرواحنا بلا ثمنْ"

ولد الأخوان فليفل في بيروت (حي الأشرفية)، إذ ولد محمد في العام ١٨٩٩ أما أحمد فقد ولد في العام ١٩٠٣. وقد استلهم الأخوان فليفل الموسيقى وروح النغم الشرقي الأصيل من والدهما. أما

التواشيح الدينية فقد أخذاها عن والدتهما التي كان لها صوت جميل وتجيد الابتهالات الدينية والمدائح النبوية، وذلك عن جدّهما (والد والدتهما) الشيخ ديب وهو مؤذن الجامع العمري الكبير في بيروت

وفي فتوتهما تعلّق الأخوان فليفل بالفرق الموسيقية العسكرية التي كانت تجوب شوارع بيروت، حيث كانا يرافقان والدهما إلى الحدائق العامة ليتمتعا بما تعزفه من ألحان، وبعدها درسا الموسيقى وتعلّما العزف على الآلات. وقد التحق محمد بدار المعلمين التركية (لدراسة الموسيقى)، أما أحمد فقد التحق بفرقة دير المخلص لدراسة البيانو وآلات النفخ، وكان من أهم أساتذتهما مارون غصن وبشارة فرزين والإيطالي فردريك رثلي، كما تعلّما الهارموني على يد الاستاذ وديع صبرا

عندما استدعي محمد فليفل إلى الجندية ١٩١٥ وألحق بمدرسة الضباط الاحتياط في اسطنبول، اغتنم الفرصة ليتابع دروس الموسيقى في دار الفنون، في حين أكمل أحمد الدراسة في بيروت. وبعد انكشاف نتائج اتفاقية سايكس - بيكو، ارتفعت وتيرة الرفض الشعبي في أكثر من بلد عربي، فوجد الأخوان فليفل نفسيهما في لجّة الغضب الوطني، فقاما بإنتاج المزيد من الأناشيد الوطنية، ولحّنا للعديد من الشعراء العرب، مثل الأخطل الصغير وإبراهيم طوقان وسعيد عقل وعمر أبو ريشة ومعروف الرصافي

وفي فترة لاحقة لحّنا لجورج غريب ونسيم نصر ومحمد يوسف حمّود وسلام فاخوري وشفيق جدايل ووديع عقل، كما يذكر محمد كريّم في صحيفة النهار اللبنانية. وفي العام ١٩٢٣ أسّسا فرقة الأفراح الوطنية (في حديقة آل فليفل) وتم شراء آلاتها من جيوبهما الخاصة

وفي العام ١٩٤٠ انطلق من كلية المقاصد نشيد العُلى للعرب، الأمر الذي أزعج المفوض السامي الفرنسي، حيث استشاط غضباً بعد ترجمة كلماته وتم تهديد الأخوين فليفل بالسجن وطلب طرد الشاعر المصري عبد الحميد زيدان. وقد أسس الأخوان فليفل في العام ١٩٤٢ فرقة موسيقى الدرك ودرّبا أفرادها على المارشات العسكرية في عهد حكومة الرئيس سامي الصلح

بعدها انتشرت أناشيد فليفل وانتقلت بين البلدان العربية، وفي العام ١٩٤٤ طلب رئيس الوزراء رياض الصلح وقبيل عيد الاستقلال نشيداً لافتتاح العرض العسكري، وقد تم اختيار كلماته من الشاعر نسيم نصر وما يزال هذا النشيد حتى اليوم:

"عيدُ البلاد وفجرُ العلم ... بِكْرُ الجهادِ وبَعْثُ الهِمم ... تشرينُنا وحيُ الزمان ... سيفُ الإبا مُرْهَفٌ للمدى ... تشريننا غضبةُ الباتر... وصيحةُ الحق بالغادر ... في حَوْمَةِ الموطن الثائر ... مُرَوعاً جَحْفَلَ العِدى.

لحّن الأخوان فليفل العديد من الأناشيد الوطنية للعديد من البلدان العربية، ومنها نشيد للنسور، من كلمات الشاعر سعيد عقل، الذي اختارته وزارة المعارف العراقية في الثلاثينيات، وكان ذلك بتكليف من قسطنطين زريق المفكر العروبي ورئيس جمعية العروة الوثقى: "للنسورْ ... ولنا الملعبُ والجناحان الخضيبان بنورْ ... العُلا والعَرَبُ ... ولنا القولُ الأبي والسماحُ اليعرُبي ... والسلاحْ ... ولنا هز الرماحْ ... في الغضوب المشمسِ ... ولنا هز الدني ... قُبباً زُرقَ السّنا ... ولنا صَهْلَةُ الخيلِ ... من الهندِ إلى الأندَلُسِ.

وكان نشيد حماة الديار عنواناً للجلاء والاستقلال لسوريا، حيث عُزف لأول مرّة كنشيد وطني رسمي صبيحة السابع من إبريل/نيسان العام ١٩٤٦ وهو من كلمات الشاعر خليل مردم. أما نشيد جامعة الدول العربية بعد تأسيسها في ٢٢ آذار (مارس) ١٩٤٥ فهو من ألحان الأخوين فليفل وشعر محمد المجذوب:
"أشرق الفجرُ فسيروا في الضياء ... ودعا الحقُ فهبّوا للنداء ... إنه وحيُ السماء ... إنه صوت الإباء ... بوركَ النورُ سرى في الغَيْهَبِ ... مُعْلِناً مطلع شمسِ العربِ ... فاسكبوا البشرى بسمع الحِقَبِ".

إن انتاج فيلم عن الأخوين فليفل وعرضه تلفزيونياً هو استعادة للزمن الجميل وللكفاح النبيل الذي خاضته الشعوب العربية ضد الاستعمار ومن أجل التحرر والتقدم والتنمية، ومثل هذه الاستعادة مفيدة حين تتهاوى أنظمة وتنهار شرعيات، وتدخل المنطقة كلها في مخاضات وتحدّيات ومرحلة انتقال قد تقصر وقد تطول، بما فيها احتمالات تعرّض كياناتها للتصدّع. فما أحوجنا اليوم إلى نشيد موطني، إلى الوحدة الوطنية والانتقال السلمي وتحقيق ما عجزت مرحلة الاستقلال عن تحقيقه، وهو التنمية والحرية والديمقراطية والعدالة، وتلكم هي مطالب الشعوب العربية التي رافقت التغييرات التي ظلّت تنتظرها طويلاً ودفعت أثماناً باهظة من أجلها.

فيروز... من فتاةٍ خجولة وابنة عامل مطبعة إلى نجمة الإذاعة اللبنانية

الفنان محمود الزيباوي
صحيفة الشرق الأوسط، ١٩ تشرين الثاني ٢٠٢٤

بعد عقود طويلة، روى محمد فليفل قصة اكتشافه لفيروز بعد أن بلغ الثمانين من عمره، وذلك في حوار صحافي أجرته معه هدى المر، ونشرته مجلة "المجلة" في عام ١٩٨٠.

تقول هذه القصة إن الأخوين محمد وأحمد فليفل كانا يحضران لتقديم عمل بعنوان "نشيد الشجرة" عبر الإذاعة اللبنانية، وكانا بحاجة إلى أصوات جميلة لتنفيذ هذه المهمة، فبدآ رحلة التفتيش عبر المدارس، وكانت إحدى محطاتهما مدرسة "حوض الولاية للبنات" حيث قدمت لهما مديرة المدرسة سلمى قربان فرقة المنشدات التي راحت تنشد أمامهما.

لفت سمع محمد فليفل صوت الطالبة الصبية نهاد حداد، فتبنّاها فنياً، وأدخلها الكونسرفاتوار لتدرس أصول الموسيقى تحت إشرافه، فصارت تحضر يومي الثلاثاء والخميس من كل أسبوع لتتعلم أصول النوتة الموسيقية.

تابعت الصبية هذه الدراسة بشغف، فكانت "الطالبة التي تقضي كل أوقاتها في التمارين الموسيقية، وتبلورت موهبتها، وزادها توهّجاً درسها الموسيقى الغربية والشرقية، والإنشاد الصوتي والغنائي، وكذلك التمارين التي كانت تقوم بها من أجل تهذيب لفظها العربي وإلقائها التمثيلي". وسأل أستاذها مدير الكونسرفاتوار وديع صبرا عن رأيه فيها، فرأى أنها ممتازة،

"وبعد أن أجرت الامتحانات النهائية، كانت نتائجها باهرة، واستحقت إعجاب اللجنة الفاحصة".

واصل فليفل الكلام، وتحدث عن التحاق نهاد حداد بعملها في الإذاعة، وتختلف روايته عن تلك التي قدّمها حليم الرومي. فحسب هذه الرواية، حضرت نهاد حداد أمام لجنة امتحان الأصوات، التي ضمّت حليم الرومي وخالد أبو النصر ونقولا المني، وأدّت موال أسمهان الشهير "يا ديرتي ما لك علينا لوم"، بمصاحبة الرومي الذي ذهل بصوتها، فترك العود، وراح يحدّق فيها. جرى تقييم نهاد حداد بوصفها تلميذة أكملت دروسها الموسيقية، وليست مبتدئة، "واستقرّ الرأي على أن تدخل ضمن ملاك الإذاعة براتب شهري قدره ١٠٠ ليرة لا غير".

نقع على روايات أخرى تتضارب كذلك في التفاصيل، والثابت أن نهاد حداد تتلمذت في مطلع صباها على يد محمد فليفل، ودخلت معه الإذاعة حيث قدّمها حليم الرومي باسم فيروز. ولمع هذا الاسم منذ بداية انطلاقه، وتوهّج حين ارتبط عضوياً بالأخوين رحباني.

حكاية النشيد العربي السوري

وفيق الهوشي
شهبا نيوز، ٢٩ كانون الأول ٢٠٠٨

"حماة الديار" ... نشيد كلما استمعنا إليه حل برداً وسلاماً على أكبادنا. في موسيقاه نبع من الحماسة لا ينضب. وفي كلماته خلاصة لتاريخنا العريق وحاضرنا المليء بالنضال، هو عنوان الجلاء ورمز الاستقلال. عزف لأول مرة كنشيد وطني رسمي لسورية صبيحة السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٦م يوم الجلاء الكبير.

ولكن .... ما حكاية هذا النشيد؟ .... وكيف تم اختياره نشيداً وطنياً لسورية؟

هذه الحكاية روتها لي أديبتنا الكبيرة كوليت خوري التي سمعتها من أصحابها الأصليين، وهما الأخوان أحمد ومحمد فليفل ملحنا النشيد.

بدأت الحكاية باختيار القصيدة التي سوف تتحول الى نشيد وطني ولم يكن هنا أي مشكلة حول ذلك فقد كان هناك اتفاق على اختيار قصيدة الشاعر خليل مردم (حماة الديار)، وخليل مردم شاعر سوري ولد في أواخر القرن التاسع عشر وعايش مرحلتي الاستعمارين التركي والفرنسي لسورية، وكتب الكثير من القصائد الوطنية التي تحدثت عن نضال شعبنا ضد الاستقلال.

أما الحكاية الحقيقية فكانت عند تلحين القصيدة. فقد أعلنت الحكومة السورية عن مسابقة لتلحين قصيدة "حماة الديار"، كان

ذلك عام ١٩٣٨م، وكان هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية. وتقدم لتلحين القصيدة نحو ستين موسيقياً منهم ملحنون معروفون مثل أحمد الأوبري.

وكان من جملة المتقدمين الموسيقيين الأخوان أحمد ومحمد فليفل من بيروت، وشكلت لجنة لاختيار اللحن الأفضل ولما تقدم الاخوان فليفل، رفضت اللجنة حتى مجرد استقبالهما والاستماع إلى لحنهما، فذهب الأخوان إلى فارس الخوري الذي كان رئيساً لمجلس النواب آنذاك، وشكوا عدم استقبال اللجنة لهما فطلب سماع النشيد وجد لحنه جميلاً ولم يشأ التدخل في عمل اللجنة فطلب من الاخوين فليفل تعليم النشيد لطلاب المدارس، حتى يحين وقت اختيار النشيد.

ونفذ الاخوان طلب فارس الخوري، وانتشر النشيد انتشاراً واسعاً، ليس كنشيد رسمي، وإنما كنشيد وطني عادي إلى جانب أناشيد الأخوين فليفل الاخرى مثل أناشيد "بلاد العرب أوطاني"، "في سبيل المجد"، "موطني"، "نحن الشباب" ...

ولم يتم البت في أمر النشيد السوري، حتى انعقاد اجتماع سان فرانسيسكو الذي بحث استقلال سورية، ومثلنا فيه فارس الخوري، وكان معه قسطنطين زريق الوزير المفوض لسورية في الولايات المتحدة ورفيق العشا الذي كان قنصلاً لسورية هناك.

وفي ذاك الاجتماع تم اقرار حق سورية في الاستقلال، ومن هناك أعلن فارس الخوري أن النشيد الوطني الرسمي لسورية سيكون "حماة الديار" للحن الأخوين فليفل. وأثناء العرض العسكري الذي أقيم احتفالاً بالجلاء لجيشنا الفتي عام ١٩٤٦م، كانت مكبرات الصوت تذيع النشيد الوطني بلحن الأخوين فليفل.

الاخوان فليفل ... دربا فيروز على أصول الغناء والتجويد

الباحث في التراث الغنائي زياد عساف
صحيفة الرأي الأردنية، ٢٥ كانون الأول ٢٠١٢

موطني... بلاد العرب أوطاني، أناشيد تربت عليها أجيال، كلمات وألحان تميزت بالعفوية والصدق وجمعت قلوب الملايين من المحيط إلى الخليج العربي.

الاخوان "محمد وأحمد فليفل"، مواليد بداية القرن العشرين، ختما القرآن في طفولتهما، ثم انتقلا إلى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، ثم المدارس السلطانية، منحهما الله موهبة فنية، ورثا جزءاً منها من والديهما، الأب كان يتمتع بحس موسيقي، عُرِفَ عنه انتماؤه العروبي، اشترى لهما كتاب "سيرة عنترة"، وطلب منهما قراءته ليطلعا على أمجاد الأُمّة وبطولتها، جدهما لأمهما كان مؤذناً في الجامع العمري الكبير، طالما رافقاه للاستماع إلى حفلات الإنشاد الديني وسماع القصائد، والدتهما كانت تتمتع بصوت جميل، وتغني لهما التواشيح والمدائح النبوية قبل النوم، مع أبيهما شاهدا واستمعا الى الحفلات الموسيقية التي تؤديها الفرق الصوفية، كل هذه الأجواء دفعتهما إلى التخصص في مجال الموسيقى.

محمد تابع دراسته في دار المعلمين في تركيا، بعد أن تم استدعاؤه خلال الحرب العالمية الأولى إلى المدرسة الحربية في استانبول، فكانت فرصته لمتابعة دراسة الموسيقى في معهد الفنون التركية، في تلك الأثناء، كان شقيقه أحمد يدرس البيانو والنوتة الموسيقية في بيروت، وكانت فكرة تكوين فرقة موسيقية تراوده دائما، ما أن عاد محمد من استانبول حتى بدأ بشراء الآلات الموسيقية،

وأسسا فرقة من (٢٦) عازفاً، كانوا يجتمعون لإجراء البروفات في حديقة منزلهم، ويقدمون نشاطاتهم في المدارس والجمعيات وفي الأعياد الشعبية، كوّنا فرقة باسم "فرقة الأفراح الوطنية" عام ١٩٤٢، وفي عهد الرئيس "ألفرد نقاش"، تم تكليفهما بتشكيل فرقة موسيقية عسكرية، بعدها صدر المرسوم بتأسيس موسيقى الدرك في لبنان.

تراث الأناشيد للأخوين فليفل

اغنية سيد درويش "بلادي ... بلادي" كانت البداية للأخوين فليفل، مع فن الأناشيد، وحبهما لهذا النوع من الفنون بالإضافة أنه وبعد الحرب العالمية الأولى، كانت البلاد العربية تحت الحكم العثماني، وبعدها الانتداب البريطاني والفرنسي، حينها أحسَّ الاخوان فليفل بدورهما في تلحين الأناشيد الوطنية، التي كانت تتطلبها تلك المرحلة، كان أول نشيد لحناه "سوريا يا ذات المجد"، ونشيد المدارس ومنحا للجيش اللبناني، عدة مارشات ومعزوفات، ولا زالت موسيقى الجيش اللبناني تعزف ألحانهما حتى الآن، وفي عام ١٩٤٦ وضعا لحن نشيد "العلى للعرب".

في بيروت تعرف محمد وأحمد فليفل على الشاعر إبراهيم طوقان، أثناء دراسته في الجامعة الأميركية، وقدم لهما نشيد "موطني" الذي تردّد على كل لسان ولا زال.

توالت الأناشيد بعد ذلك وبدءا بالتعاون مع كبار الشعراء في لبنان والوطن العربي، فكان نشيد "نحن الشباب لنا الغد"، لبشارة الخوري، و"هل تعود" للشاعر حبيب ثابت، "بلاد العرب أوطاني" لفخري البارودي، و"الفخر في بلادنا" من شعر عبد الحليم حجار، "العلى للعرب" للشاعر عبد الحميد زيدان، "في سبيل المجد" من نظم الشاعر عمر أبو ريشة، و"حماة الديار"

لخليل مردم بك، "هللي يا بلاد" شعر شبلي الملاط، ونشيد الاستقلال " تشرين" للجمهورية اللبنانية للشاعر نسيم نصر.

في أواخر الثلاثينات، كلفهما رئيس جمعية العروة الوثقى في الجامعة الاميركية الدكتور قسطنطين زريق، تلحين نشيد الجمعية الذي كتب كلماته الشاعر سعيد عقل.

جولة في البلاد العربية

عهد للأخوين بوضع لحن نشيد للجامعة العربية عند تأسيسها من قصيدة للشاعر المصري محمد المجذوب، تم تكليف محمد فليفل من قبل العراق لتدريس الأناشيد الوطنية وتم أيضاً اعتماد نشيد "موطني"، نشيداً وطنياً للعراق بالإضافة إلى تدريس أناشيدهما في المناهج الدراسية في العراق.

ووضع محمد فليفل لحن النشيد الوطني السابق لجمهورية اليمن وأسس الفرقة الملكية السعودية أيام الملك سعود بن عبد العزيز. تخطت أناشيد الاخوين فليفل حدود الوطن العربي، فلقد تم ترجمتها في أكثر من ٣٥ دولة اجنبية وحسب لغة كل بلد مع الحفاظ على اللحن الأصلي.

فيروز والاخوين فليفل

كثيراً ما تكون الصدفة هي بداية الطريق للفنان، هذا ما حدث مع سفيرتنا إلى النجوم "فيروز" في أواسط الأربعينيات، وفي جولة لمحمد فليفل على المدارس لاكتشاف مواهب لغناء الأناشيد الوطنية في الإذاعة اللبنانية، حينها التقى بالطفلة "نهاد حداد" في حفل مدرسي وأعجب بصوتها، بذل مجهوداً كبيراً في اقناع والدها لتشارك كمؤدية في كورس الإذاعة، بصعوبة وافق الأب بعد أن اطمأن إلى انها ستشارك في غناء الأغاني الوطنية فقط، وبرفقة

أخيها جوزيف. في البدء تعهد محمد فليفل بتحمل نفقات دراستها في المعهد الموسيقي الذي كان يترأسه آنذاك وديع صبرا، ملحن النشيد الوطني اللبناني وبدوره رفض تقاضي أي مبلغ من فيروز لشدة اعجابه بصوتها وأدائها.

اعتنى الاخوان فليفل بصوتها، لدرجة الايعاز لها بعدم تناول الطعام الذي يحتوي على البهارات أو الحمضيات أو أي شيء آخر ممكن أن يؤذي حبالها الصوتية، وتجنب غناء الطبقات العالية أو المقاطع التي تتطلب جهداً شديداً حفاظاً على جمال صوتها.

المطربة فيروز من المطربات القلائل اللواتي ينطقن مخارج الحروف بطريقة صحيحة وسليمة، ويعود الفضل للأخوين فليفل اللذين علماها أصول تجويد القرآن الكريم، وبما يحتويه من مقامات لحنية تساهم في تطور صوت وأداء المطرب.

بعد أربع سنوات من الدراسة في المعهد نجحت فيروز أمام لجنة فحص الأصوات، المؤلفة من حليم الرومي ونقولا المني وخالد أبو النصر. غنت يومها فيروز "يا ديرتي" لأسمهان، و"يا زهرة في خيالي" لفريد الأطرش، اعجبت اللجنة بها آنذاك أيما اعجاب، وكانت النقلة الكبيرة لفيروز بمجموعة ألحان قدمها لها حليم الرومي، لقت صدىً واسعاً في الإذاعات العربية تلك الفترة.

بالعودة لأرشيف غناء المطربة فيروز ومن خلال مواقع النت توجد أغنية بصوتها من ألحان الاخوين فليفل عنوانها "لنا بلادنا"، ومن كلماتهما غنت "ميسلون" من ألحان الاخوين رحباني.

من النجوم العرب الذين تأثروا وتخرجوا على يدين الاخوين فليفل لور دكاش، صباح، محمد البكار، محمد سلمان، صابر الصفح،

مصطفى كريديه ملحن أغنية "يا فجر لما تطل" للمطربة لارا كيروز، عبد الغني شعبان، وعفيف رضوان. وقدما بعض الألحان من كلمات الشاعر الشعبي اللبناني عمر الزعني.

تكريم الاخوين فليفل

قدم الاخوان فليفل حوالي ١٥٠٠ لحن، وفي كافة المواضيع منها الوطني والاجتماعي وللمهاجر وللسلام وللأطفال، ولم يكن التكريم بمستوى هذا الإنجاز. مؤخرا كرمت الفرقة العربية للأناشيد الوطنية "الاخوين فليفل" ومن خلال احتفالية الدوحة عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٠، غنت لهما الفرقة بعضا من أناشيدهما والتي قدماها على مدار عقود طويلة من السنين كما وكرمهما نادي الجسرة الثقافي والأمين العام للاحتفالية وتم تقديم جوائز التقدير استلمها ممثل العائلة المهندس جمال فليفل، وزارة الثقافة الجزائرية كانت قد دعتهما في عدة مناسبات وطنية.

ويبقى التكريم الأعظم ان اناشيدهما تم تدريسها في معظم المدارس العربية وترددت على كل لسان في بلاد العرب أوطاني.

عندما وافت المنية محمد فليفل ١٩٨٦ كان التكريم مميزا لهذا المبدع حيث تم تشييع جثمانه على وقع لحن "موطني" وبعده بسنوات قليلة توفي شقيقه احمد. عاشا ورحلا بصمت كانا بعيدين عن حب الظهور والنجومية أو توظيف الإعلام لترويج فنهما وابداعهما.

سليم محمد فليفل ... وريث الفن المنسي

سليم فليفل الابن الأكبر لمحمد فليفل بقي جنديا مجهولا في المسيرة الفنية لآل فليفل ولفترة طويلة بالرغم من الدور الهام الذي قام به

في الحفاظ على التراث الموسيقي والفني للعائلة فلقد كان الابن البار لهذه المدرسة.

منذ طفولته كان مصاحبا لوالده في البروفات وعندما لاحظ والده شغفه بالموسيقى ساهم بتنمية موهبته بالدراسة حتى غدا عنصرا مهما في الفرقة وأصبح اسمها فرقة "الأساتذة فليفل". بعد ذلك، تم الاعتماد عليه بالتدوين والتوزيع الموسيقي وقيادة الفرقة. لحن العديد من الأناشيد ولم ينسبها لنفسه وحده وبقيت ضمن إنجازات فرقة "الأساتذة فليفل".

قبل سنوات كرمته جامعة بيروت العربية في حفل فني كبير تم من خلاله تقديم الحان من إبداعات الاخوين فليفل، حافظ في مجمل أعماله على الطابع العربي، وعلى لون ومسيرة العائلة الفنية باستثناء بعض الألحان التي تتطلب الدمج بين اللون الشرقي والغربي. في أواخر الخمسينيات وضع لحن "الشعب العربي" والذي كان من المفروض ان يكون نشيد الوحدة بين مصر وسوريا وكونه غير محصور في البلدين، فلقد سارت الأمور باعتباره لحنا لكل الشعب العربي كما يوحي عنوانه.

لحن سليم فليفل أيضاً نشيد "الكشاف" بمناسبة انعقاد اللقاء الكشفي العربي، ونشيد "الشباب والرياضة"، والنشيد الوطني لدولة الامارات العربية المتحدة، ونشيد "المقاومة" والذي منح على أثره وسام "المعارف". ومن إنجازاته أيضاً تلحين نشيد "السلام" للصليب الأحمر.

منحته جمهورية لبنان "وسام الأرز" برتبة كوماندور و"وسام الأرز" برتبة ضابط.

كثير من نجوم الغناء في لبنان بدأوا من خلال فرقته وحافظ معظمهم على أصالة الفرقة التي بدأوا منها، منهم راغب علامة والفنان ملحم بركات والذي صرح في أحد اللقاءات أنه تلميذ الأستاذ سليم فليفل، الفنان أحمد قعبور تتلمذ ايضاً على يد الأستاذ سليم فليفل.

فرق الموسيقى العسكرية
كان الفضل للأخوين فليفل وكما ذكرنا سابقا، بتأسيس فرقة موسيقى الدرك لجمهورية لبنان، ووضع الحان و"مارشات" عسكرية لهذه الفرقة. بعض الدول العربية كانت قد سبقت لبنان في تأسيس مثل هذه الفرق، ومن النادر ان يتم تسليط الضوء على انجازاتهم.

يعود تاريخ الموسيقى العسكرية في العالم الى عصر الامبراطورية العثمانية، والتي اخذت عنها كل من اوروبا واميركا هذا التقليد وأصبح موجودا الان في معظم دول العالم.

ولا تقتصر أهمية فرق الموسيقى العسكرية فقط بالمشاركة بالمناسبات والاعياد الوطنية، ومراسم استقبال ووداع الملوك والرؤساء على ارض الدولة المضيفة، وعزف النشيد الوطني لهذه الدول، انما ساهمت هذه الفرق في الحفاظ على الموروث الغنائي والموسيقي للدول التي ينتمون لها، من خلال عزف هذه الالحان في المناسبات وتذكير الناس بها دائما، مما ساهم بالحفاظ على الاغاني الشعبية والفلوكلورية من الاندثار.

عقبات كثيرة تواجه معظم هذه الفرق، اهمها غياب فن النشيد الذي اسس له الاخوين فليفل، فلم تعد تكتب هذه الاناشيد بنفس النوع والكم الذي تأسس له في بداية القرن العشرين، ندرة المهرجانات

التي تقام لفرق الموسيقى العسكرية، والمشاركات الخارجية، والتي بدورها تساهم في تبادل الخبرات بين الفرق المشاركة، وندرة استخدام التطورات التقنية والتكنولوجية.

ندرة الكليات والمعاهد التي تدرس الموسيقى العسكرية شكل عائقاً امام الدول التي اغفلت هذا الجانب، وان كان ان بعض الدول العربية ابرزت مؤلفين وموسيقيين ومدرسين تخرجوا من هذه الفرق، كان لهم دور مؤثر في نهضة وتطور الموسيقى في هذا المجال. فرق الموسيقى العسكرية في الاردن اشتهرت على مستوى عالمي وطافت معظم بلاد العالم، وكثير من الفرق العسكرية العربية تلقت دورات في الأردن. من أجمل ذكريات الطفولة التي لا تغادرنا، عروضاً جميلة في ليالي عمان، شاهدنا لهذه الفرق في المدرج الروماني أو وسط البلد، وخاصة "حامل الصولجان" أو العصا، والذي كان يتقدم هذه الفرقة، يحرك العصا ويقذفها بالهواء بطريقه متناسقة مع خطوات وزف الفرقة التي يتقدمها ..... أيااااااااام.

فيروز والشجرة وديسمبر
الأديب والناقد أحمد الواصل
صحيفة الرياض، ١٠ أيلول ٢٠١٥

هل يمكن أن يذكر أن أسبوع الشجرة اكتشف صوت فيروز؟

لقد قررت الحكومة اللبنانية أن يكون الأحد الأول من شهر ديسمبر ١٩٤٧ أسبوع الشجرة ويقام احتفال لرجال الدولة وتزرع شجرة رمزاً لاخضرار لبنان الدائم.

واقترحت اللجنة المكونة من بدر دمشقية والدكتور فؤاد غصن والعقيد سليمان نوفل أن يخصص نشيد تبارى الشعراء لوضع النص المناسب فاختير نص من شعر محمد يوسف حمود فكلفت جمعية أصدقاء الشجرة بمشاركة وزارة التربية والفنون الجميلة الأخوين فليفل لتلحينه، وجال محمد فليفل المدارس لاختيار التلاميذ ذوي الأصوات الجميلة لأدائه ولم يكن متوقعاً في مدرسة الإناث الأولى أن ترشح مديرتها السيدة سلمى قربان تلميذة تدعى نهاد حداد فأعجبت فليفل ودربها لأداء مقطع منفرد في النشيد:

الشجر، يتعالى في الهواء
والثمر، يتلالا كالضياء
ما أحبَّ الشجرا ...

واعتنى فليفل بها حيث جاء بها إلى بيته وعاشت مع أولاده وصادقت ابنته زكية لتتدرب على يديه أصول الإلقاء الغنائي والتمارين الصوتية وعلم التجويد القرآني الذي جعل من فيروز،

وهي مسيحية، تبزّ أي حنجرة عربية في سلامة اللفظ والنطق دون عثرات.

وتحفظ مجلة الأسبوع العربي في عام ١٩٧٣ حلقات نشرتها نازك باسيلا عن فيروز إذ تقول عن البدايات:

"غنيت نشيداً من أناشيد المدرسة، فراق الأستاذ (محمد) فليفل صوتي وأعطاني عنوان المعهد لكن والدي انهمك في تحرياته الخاصة قبل السماح لي بالالتحاق بالمعهد وبعد برهة أشركني الأخوان فليفل في برامجهما الإذاعية وقد فتح عملي مع الأخوين فليفل أمامي نافذة واسعة على عالم جديد وجدت فيه مجالاً لتحقيق أمنياتي".

ففي تلك الفترة، أي بين ١٩٤٧- ١٩٥٠ ألحقها محمد فليفل في المعهد الموسيقي الوطني مجاناً لتستكمل دروسها النظرية الموسيقية في يومين من الأسبوع إلى جانب استكمال دراستها النظامية في المرحلة الثانوية بعد حماس والدتها وأخيها واقتناع والدها.

ورشحها فليفل إلى لجنة الإذاعة المكونة من الملحنين الكبار خالد أبو النصر ونقولا المني وتوفيق الباشا وسواهم حيث أدت الامتحان بمرافقة الملحن حليم الرومي في قصيدة "يا زهرة في خيالي" لفريد الأطرش وموال "يا ديرتي" لأسمهان.

إن أكثر ما يستغرب كيف أدت فيروز في سنها الصغيرة ذلك الموال الإعجازي الذي تبزَّ به أسمهان، من فيلم "غرام وانتقام" (١٩٤٤) أي مغنية عربية في شطر "مثل العدو ما نرخصك بأثمان.."، لم تدانها إلا وردة في أغنية "يا لعبة الأيام" (١٩٦١)

في ترديد كلمة "الأيام" ختامها، إذ احتوى على مقطع يؤدى بطبقة صوتية عالية لم تفقد أسمهان كثافة صوتها لحظة فكيف كان مع فيروز؟!

وعلى أن فيروز سجلت أولى أغانيها مشتركة مع حليم الرومي "عاشق الورد" ثم خصها بعمل منفرد "تركت قلبي" لميشال عوض (١٩٥٠)، فعرفها على الأخوين رحباني، ليسجلا معها قصيدة "حبذا يا غروب" لقبلان مكرزل ثم أغنية "عتاب" التي اشتهرت وقرَّر الثلاثي الاستمرار سوياً.

غير أن فيروز لم تنقطع عن الأخوين فليفل ولا الأناشيد، ففي توالي انقلابات الجيش السوري بأثر من الحزب القومي السوري الاجتماعي وثقت فيروز بصوتها أناشيد لتلك المرحلة غدت منسية وتمحي الميول السياسية الضاغطة في تلك الفترة.

إذ بعد الانقلاب الأول في مارس ١٩٤٩ بقيادة حسني الزعيم ثم خلعه وإعدامه بانقلاب أغسطس ١٩٤٩ بقيادة اللواء سامي الحناوي ثم لحقه قبل نهاية العام انقلاب في ديسمبر ١٩٤٩ بقيادة أديب الشيشكلي الذي هيمن على الحياة السياسية في سورية على وجود الرئيس هاشم الأتاسي الذي سعى إلى وحدة مع العراق آنذاك ما دفع الشيشكلي بانقلاب آخر في نوفمبر ١٩٥١ ليحكم سورية بعد انتخاب محسوم حتى اندلاع الاحتجاجات الطلابية أواخر ١٩٥٣ التي جعلت وحدات الجيش الأخرى تحاصر الشيشكلي ليقدم استقالته قسراً ١٩٥٤.

عرفت في هذه الفترة التي كانت إذاعة دمشق تفتح أبوابها للأخوين رحباني وفيروز وأعمالهما أناشيد بين عامي ١٩٥٢ و١٩٥٣ فترة حكم الشيشكلي.

إذا كانت قصيدة "عنفوان" من شعر عمر أبو ريشة، ألحان: عاصي الرحباني المسجلة في ٢٠ نيسان ١٩٥٢ توحي بمناجاة مباشرة إلى اغتيال أنطون سعادة يوليو ١٩٤٩ زعيم الحزب المغدور:

لم ترتشف دمعي شفاه الهوان
ولم يناد المجد هذا جبان
فاعصف فإني صخرة يا زمان.

فإن نشيد "ميسلون" سجل بعدها في ذات العام من شعر الأخوين فليفل – لحن الأخوين رحباني:

وعندَ الحدودِ وفي ميسلونْ، لنا ذكرياتْ
بطولاتُ جيشٍ تحدّى المنونْ، ليبني الحياةَ.

وفي العام التالي سجل بصوتها نشيد "فتاة سورية" في ١٨ إبريل ١٩٥٣ موقّع شعراً ولحناً للأخوين رحباني:

فتاة سورية هيا الى المسير
فتاة سورية لك الغد المنير ...

إن بدايات فيروز البسيطة قادتها إلى ما وصلت إليه حيث حملت حنجرتها تاريخاً من غناء القرن العشرين هي علامة لا تنكر وذاكرة تتجدد مع المستقبل.

فيروز... البدايات المجهولة

الفنان محمود الزيباوي
صحيفة المدن، ٩ نيسان ٢٠١٦

في مطلع عام ١٩٥٢، تحدثت فيروز في محضر من المحاضر التي يعدها برنامج المرأة في محطة "الشرق الأدنى" وقالت: "اسمي نهاد حداد. ولم أكن أنا التي اختارت اسم فيروز، ولكن عندما ابتدأت الغناء اقترحوا عليّ هذا الاسم ولم أمانع لأنه اسم جميل. وصلت في دراستي إلى الدراسة الابتدائية، ولكن الفن أرغمني على تلبية دعوته فاضطررت إلى ترك المدرسة ومتابعة الدروس الخاصة.

كانت مديرة المدرسة تعرف أن لي صوتاً لا بأس به، وفي زيارة للملازم فليفل الأستاذ أبو سليم أتت بي لأغني أمامه، فأعجب على ما يظهر بصوتي وطلب مني أن أذهب لتعلم الغناء في المعهد الموسيقي اللبناني. فذهبت، وأخذ يقدمني في الإذاعة اللبنانية".

مقابلة صحفيّة مع الإعلاميّة الفلسطينيّة أماني عوّاد
عضوة "الفرقة العربية للأناشيد الوطنية"

موقع "عرب ٤٨"، ٦ حزيران ٢٠١٠

س: ألقت الفرقة العربية الضوء على الأخوين فليفل اللذين ارتبط اسمهما بالأناشيد الوطنية والقومية، ما أهمية معرفة هذه الرموز الفنية التي لا يعرفها الجيل الجديد؟

ج: واكبت ألحان الأخوين فليفل مراحل سياسية هامة في تاريخ منطقتنا العربية، فبعد مؤتمر سايكس بيكو ازداد تململ العرب في بلاد الشام والعراق من الاحتلال، وعمّت المظاهرات الوطنية الشوارع العربية مطالبة بالاستقلال، وفي هذا الجو السياسي المشحون بالغضب وأمام حالة الغليان هذه، وجد الأخوان فليفل نفسيْهما مطالبيْن بضخ المزيد من الألحان الوطنية التي كانت صرخة مدوية تدعو للتحرر من الانتداب والاستعمار، فحررت العرب من عقدة الخوف ووحدت مشاعرهم الوطنية والقومية، حتى بات نشيد موطني وكأنه نشيد الأمة بأسرها يُغنّيه الشباب في لبنان فيتردد صداه في سوريا والعراق وفلسطين.

س: توحّدت الكلمة مع ألحان الأخوين فليفل في لوحة أدبيّة فنية فريدة، ما أشهر ألحانهما؟

ج: نشيد "موطني" للشاعر الفلسطيني الكبير إبراهيم طوقان، ونشيده الآخر "وطني أنت لي"، وقصيدة "في سبيل المجد" لعمر أبو ريشة، و "نحن الشباب" لبشارة الخوري. كما غنى العرب من المحيط إلى الخليج من ألحانهما، ومن شعر فخري البارودي: "بلاد العرب أوطاني، من الشام لبغدان"، ورصيد الأخوين فليفل الموسيقيّ ثريّ وكبير.

من خطاب للرئيس جوزاف عون

رئيس الجمهورية العماد جوزاف عون خلال لقائه رئيس الحكومة العراقي محمد شياع السوداني في القصر الحكومي في بغداد بتاريخ ١-٦-٢٠٢٥، قال:

منذ بداياتِ دولِنا في عشريناتِ القرنِ الماضي ... وصولاً حتى يومِنا هذا ... ظلت بيروتُ عاشقةً للسيّاب والجواهري ونازك الملائكة، وكلِ عمالقةِ الأدبِ العراقي الحديث ... وظلت بغدادُ "موطني، موطني"، من نغماتِ المُبدعِ اللبناني محمد فليفل.

مقتطف من مقال:

الأناشيد والأغنية الوطنية في الموسيقى العربية

مجلة الموسيقى العربية، تصدر عن المجمع العربي للموسيقى في جامعة الدول العربية، ١ كانون الأول ٢٠١٤
الموسيقي جوزيف البدوي

في لبنان كما في مصر لمع الأساتذة فليفل بصياغة فن الأناشيد على الصعيدين الوطني العسكري والتربوي.

ففي سنة ١٩٤٢ ساهَم الضابط محمد فليفل وأخوه أحمد في تأسيس موسيقى الدرك اللبناني، وقد لحّنا أجمل الأناشيد الوطنية والعسكرية الحماسية أمثال: نشيد "إنّ لبنان لنا" و"نشيد الجنود" ونشيد الجيش، ونشيد المصفّحات، ونشيد تشرين الذي وضع خصّيصاً لحفلة العرض العسكري في عيد الاستقلال، "نحن الشباب"، "موطني"، "الفخر في بلادنا"، نشيد المدرسة الحربية، إلخ...

وفي العام ١٩٥٢ انضم سليم فليفل وهو نجل محمد فليفل إلى ميدان الموسيقى الوطنية والتربوية حتى أورثت هذه العائلة الوطنية كمّاً من الأناشيد التي عمّت لبنان والعالم العربي.

وفي العام ١٩٥٩ سجّل الأساتذة فليفل لقيادة الجيش في استديوهات بعلبك أناشيد مختارات الجيش والتي تتضمّن كافة الأوامر والتشريفات المُترجمة موسيقياً في الأبواق والطبول "تأهب، إلى العلم، قرع الطبول، معزوفة القائد، إلخ...".

ومن ألحان الأساتذة فليفل نشيد "حماة الديار" المُعتمد نشيداً رسمياً في الجمهورية العربية السورية منذ سنة ١٩٣٨ حتى يومنا هذا.

من مدوّنة الناقد والصحافي السينمائي خليل حنون
نيسان ٢٠١١

- الأخوان فليفل وضعا الكثير من الأناشيد التي كان يرددها الشباب في مظاهراتهم وثورتهم ضد المستعمر الفرنسي والإنجليزي من المغرب حتى العراق.

- وضعا النشيد المعروف "موطني" الذي هو النشيد الوطني للعراق وفلسطين وكان النشيد الأول للثورة الجزائرية واستحق لقب نشيد الأمة العربية لأنه انتشر بشكل عجيب واعتمدته كل الدول العربية كواحد من أناشيدها الوطنية. وقد ترجم موسيقياً هذا النشيد إلى ٣٥ لغة.

- الأخوان فليفل وضعا الأناشيد الوطنية للعديد من الدول العربية مثل سوريا واليمن والإمارات وغيرها إضافة إلى الجامعة العربية ووضعا الموسيقى العسكرية للعديد من هذه الدول كما أسسا فيها الفرق الموسيقية العسكرية.

- الأخوان فليفل هما أوّل من وضع موسيقى وأغاني للأولاد، وقسّماها حسب المراحل من عمر سنة حتى المراهقة.

- الأخوان فليفل اكتشفا فيروز وهي صغيرة وعلماها الموسيقى بعد أن أقنعا والدها الذي كان رافضاً بأهمية موهبتها وتربت عند محمد فليفل كأنها بنت من بناته وكانت عضوا في فرقتهما الموسيقية.

- الأخوان فليفل أسسا فرقة موسيقى الدرك ووضعا الاناشيد والموسيقى العسكرية للدرك والجيش اللبناني التي حلت مكان الموسيقى الفرنسية العسكرية.

- الأخوان فليفل أجبرا المنتدب الفرنسي على إنشاد النشيد الوطني اللبناني إلى جانب النشيد الفرنسي بعد ان كان هذا الأخير هو الذي يُنشد في المدارس.

- الأخوان فليفل ولدا في عائلة بيروتية مقتدرة وكان جدهما إمام المسجد العمري الكبير وجدهما الثاني من كبار وجهاء بيروت. وقد ألّفا معظم أناشيدهما مجاناً حتى أنهما ألّفا أناشيد لجمعيات من دون مقابل.

ملحق الصور



سليم فليفل، والد الأخوين محمد وأحمد



من اليمين أحمد ومحمد فليفل
في جلسة تلحين وتنويط لحن جديد



من اليمين، محمد وأحمد فليفل



من اليمين، أحمد ومحمد فليفل





من اليمين، محمد وأحمد فليفل



من اليمين، أحمد ومحمد فليفل



الأخوين فليفل ويرى في اليمين الأستاذ سليم فليفل



"الأساتذة فليفل"



الأخوين فليفل مع "فرقة موسيقى الأفراح الوطنية"





الأخوين فليفل مع "فرقة موسيقى الأفراح الوطنية"





الأخوين فليفل مع الفرقة، وأحمد الجاك متعهد حفلات أم كلثوم في لبنان، يستقبلونـها في بيروت بتاريخ ٣ أيلول١٩٣١



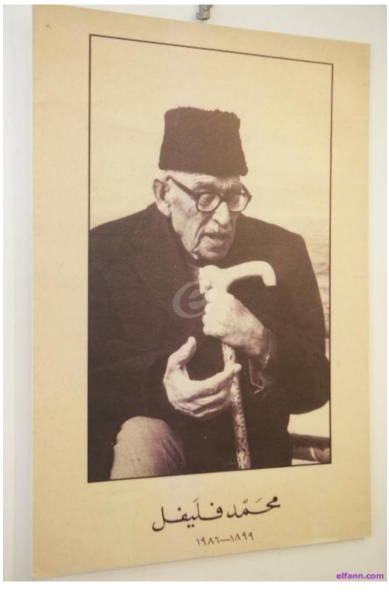
الأخوين محمد وأحمد فليفل مع موسيقى الدرك في حفل توزيع الشهادات بالجامعة الأمريكية في ٢١ حزيران ١٩٤٦



الأخوين أحمد ومحمد فليفل مع موسيقى الدرك

محمد فليفل










Amir



استقبل الرئيس جمال عبد الناصر في القصر الرئاسي في القبة، وفداً برئاسة عدنان الحكيم رئيس حزب النجادة وشقيقه محمود الحكيم، والدكتورة زاهية قدورة أول عميدة لكلية الآداب في الجامعة اللبنانية، وسلّم على أفراد الوفد فرداً فرداً.

وتقدم محمد فليفل ليقول: سيادة الرئيس، أتيناكم لنقدم لكم هدية نشيد "من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر، لبيك عبد النصر". فعانق الرئيس عبد الناصر محمد فليفل وقال له "أنا نشأت على أناشيدكم منذ صغري".



مع الرئيس جمال عبد الناصر



مع الرئيسين سليم الحص وشفيق الوزان



مع عدنان الحكيم رئيس حزب النجادة



فيروز (نهاد حداد) مع مكتشفها محمد فليفل ٥ أيار ١٩٥٠

وفاة الموسيقي محمد سليم فليفل
ملحّن الأناشيد الوطنية

رحل ملحن الاناشيد الوطنية «حماة الديار»، «موطني»، «نحن الشباب»، «الفخر في بلادنا» وغيرها فقد توفي امس الموسيقي محمد سليم فليفل (جرى الدفن في جبانة الشهداء، وتقبل التعازي في الثلث والاسبوع، للرجال في دار ولده سليم، وللنساء في دار شقيقه المقدم احمد الكائنة في الطريق الجديدة شارع الرفاعي ملك فليفل).

ولد الموسيقي الراحل في بيروت عام ١٨٩٩ وتابع دراسته حيث تخرج ضابطاً في الدرك، وفي العام ١٩٢٩ لحن مع اخيه احمد النشيد الاول «سوريا يا ذات المجد» من كلمات مختار التني، وشكلا بعد ذلك «فرقة موسيقى الافراح الوطنية». وقد عين محمد فليفل استاذاً للموسيقى في مدارس المعارف، وحصل على اوسمة عدة من لبنان وسوريا وهو ملحن النشيد الوطني السوري «حماة الديار عليكم سلام. ابت ان تذل النفوس الكرام» من كلمات خليل مردم

شكل الموسيقي الراحل مع اخيه احمد ثنائيا رئيسيا لملحني الاناشيد الوطنية في الشرق في مرحلة الثورات من اجل الاستقلال، واكثر من تسعين بالمئة من الاناشيد الوطنية والعسكرية في الشرق العربي هي من تلحينهما

من مآثر الراحل نذكر تأليفه الالحان العسكرية اللبنانية، وبرنامجه الموسيقي التوجيهي من اذاعة لبنان الذي استمر منذ ما قبل الاستقلال وحتى العام ١٩٧٥ وتأسيسه مع اخيه احمد موسيقى الدرك اللبناني واكتشافه موهبة السيدة فيروز (نهاد حداد) قبل تعرفها الى زوجها عاصي الرحباني.



محمد سليم فليفل (١٨٩٩ - ١٩٨٦)

صحيفة السفير ٥-٣-١٩٨٦

السفير الاحد ٢٠/٤/١٩٨٦



الى محمد سليم فليفل

(٢٠/٤/١٩٨٦)

محمد يوسف حمود

قصيدة الشاعر محمد يوسف حمود بعنوان "إلى محمد سليم فليفل"، صحيفة السفير ٢٠ نيسان ١٩٨٦

أحمد فليفل







أحمد فليفل يقود فرقة موسيقى الدرك



فرقة الدرك بقيادة أحمد فليفل تستقبل الرئيس كميل شمعون في منتصف الخمسينيات

السفير

وفاة الفنان أحمد سليم فليفل

التاريخ: 10-03-1995 | رقم العدد:7029

فاة الفنان أحمد سليم فليفل: غيّب الموت عن عمر يناهز الثانية والتسعين المقدم المتقاعد احمد سليم فليفل صاحب الالحان العسكرية والوطنية، وقد ووري الثرى يوم امس في مدافن الشهداء. يحمل الفقيد عددا كبيرا من الأوسمة اللبنانية والعربية والاجنبية، وقد كان قائدا لموسيقى قوى الامن الداخلي، كما تخرج على يديه عدد كبير من الفنانين.

صحيفة السفير ١٠ـ٣ـ١٩٩٥


الأخوين فليفل

كرمت "الفرقة العربية للأناشيد الوطنية" الأخوين فليفل خلال احتفالية الدوحة عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٠ بتاريخ ٣٠ نيسان ٢٠١١. كما كرمهما نادي الجسرة الثقافي وأمين عام الاحتفالية، وقدم الجميع جوائز تقديرية لممثل الأخوين فليفل المهندس جمال محمد فليفل على مسرح قطر الوطني.

اليوم على خشبة مسرح قطر الوطني

الفرقة العربية للأناشيد الوطنية تغني للعروبة والوفاء


حسام عكاوي

الدوحة - العَرَبْ

عقدت الفرقة العربية للأناشيد الوطنية، صباح أمس في مقر وزارة الثقافة والفنون والتراث، مؤتمرا صحافيا حضره كل من جمال فليفل نجل الملحن العربي محمد فليفل، وحسام عكاوي مدير الإعلام والعلاقات العامة في الفرقة، وأعضاء من الفرقة ومهتمون. وأدار المؤتمر الكاتب القطري جمال فايز.

في مستهل حديثه اعتبر جمال فايز مبادرة الفرقة لفتة كريمة تستحق التقدير، وأضاف فايز أن "وجع الاستعمار والاستعباد لا يزال يسكن القلوب، وستظل الأناشيد الوطنية قنديلا لا ينطفئ حتى يتحرر كل إنسان عربي".

وفي كلمته تحدث جمال فليفل، نجل الملحن والفنان العربي محمد فليفل، عن تجربة الأخوين محمد وأحمد فليفل، تلك التي منحت العالم العربي كنزا من الأناشيد الوطنية والتربوية ما زالت إلى اليوم حاضرة في واقع الأمة، وفي هذا السياق ذكر جمال فليفل أن نشيد "موطني" ترجم إلى 45 لغة عالمية، ليصبح بذلك جزءا من التراث الإنساني.

وذَكَر فليفل الابن بجانب من تجربة والده وعمه، حيث جاءت أناشيد الأخوين فليفل الوطنية والقومية في مرحلة عاش فيها الوطن العربي أجواء التعطش للتحرر والنهضة، فكان لها دور حاسم في إذكاء الحماسة في قلوب العرب وتوحيد مشاعرهم الوطنية والقومية.

أما مولد الوالد محمد فليفل فكان في عام 1899، بينما كان مولد العم أحمد في عام 1903، وتميز المحيط العائلي الذي احتضن الطفلين بحب الفن والنغم الشرقي الأصيل.

وخلال الحرب العالمية الأولى استدعي محمد فليفل إلى المدرسة الحربية في اسطنبول، فتابع هناك دراسة الموسيقى، أما أحمد فليفل فبقي في بيروت ينضج في ذهنه فكرة تكوين فرقة موسيقية، وما إن عاد محمد من اسطنبول حتى باشرا بشراء الآلات وأسسا فرقة من 26 عازفا، كانا يجمعانهم في حديقة بيتهما، يعزفون الأناشيد والألحان الشائعة، ثم أخذت الفرقة للمدارس والجمعيات وفي الأعياد الشعبية، وعُرفت باسم "موسيقى الأفراح الوطنيَة".

وبعد مؤتمر سايكس بيكو وجد الأخوان فليفل نفسيهما مطالبين بضخ المزيد من أناشيدهما التي تذكي الروح الوطنية، فعكفا على تلحين العديد من الأناشيد لشعراء كبار أمثال: إبراهيم طوقان، وسعيد عقل، وعمر أبوريشة، ومعروف الرصافي، وأمين تقي الدين، وشبلي الملاط، وسابا زريق، وعبدالحليم الحجار، وفخري البارودي. وفي مرحلة لاحقة لجورج غريب ونسيم نصر ومحمد يوسف حمود وغيرهم.

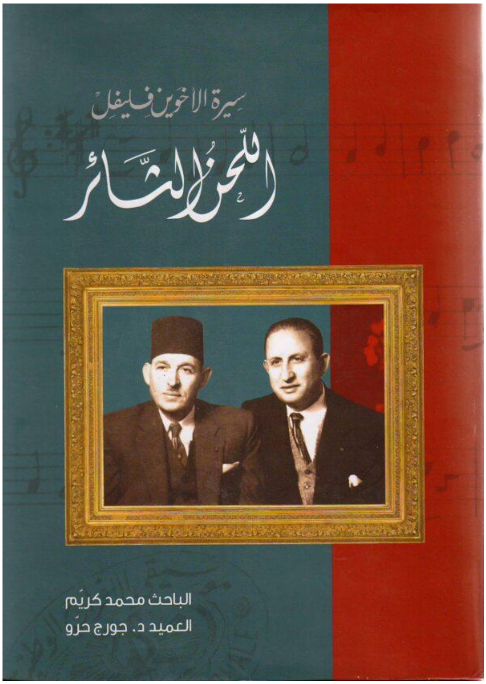
جدير بالذكر أن فكرة إحياء الأناشيد الوطنية العربية برزت في سوريا عام 2001 على يد الدكتور عبدالرحمن الكواكبي حفيد عبدالرحمن الكواكبي صاحب كتاب (طبائع الاستبداد)، فتأسست الفرقة وبدأت بتعليم الأناشيد وإحياء الحفلات في المناسبات الوطنية. وفي بداية عام 2007 تاسست في قطر "الفرقة العربية للأناشيد الوطنية" وشكلها هواة من عدة جاليات عربية، وشملت طلاباً ومهندسين وأطباء وإعلاميين وأساتذة، في محاولة لنشر هذا العمل التطوعي النبيل من حلب إلى الدوحة.

صحيفة العرب القطرية ٣٠ نيسان ٢٠١٠

الدوحة ـ الراية :شهد أمس مسرح قطر الوطني أمسية فنية موسيقية وطنية أحيتها فرقة الأناشيد العربية الوطنية بقيادة المايسترو شادي، وقد حضر الحفل سعادة الأمين العام لوزارة الثقافة والفنون والتراث السيد ناصر بن مبارك آل خليفة، وعدد من أصحاب السعادة سفراء العديد من الدول العربية والأجنبية، وقدمت الفرقة عددا من الأغاني والأناشيد من تلحين الأساتذة فليفل، ثم تكريم المهندس جمال فليفل ليتسلم هدايا ودروع الأخوين فليفل الأساتذة، وقدمت وزارة الثقافة والفنون والتراث هدية وتكريم من جانبها عرفانا بالدور الذي قدمه الأخوين فليفل للموسيقى العربية والوطنية، وقد سلم التكريم للمهندس جمال فليفل سعادة السيد ناصر بن مبارك آل خليفة أمين عام وزارة الثقافة والفنون والتراث، كما قدم نادي الجسرة الاجتماعي بدوره هدية وتكريم لفليفل قدمه السيد إبراهيم خليل نائب رئيس مجلس ادارة نادي الجسرة، كما قدمت فرقة الاناشيد العربية الوطنية درعا تذكاريا تقديراً للأخوين فليفل، ثم تحدث المهندس جمال فليفل موجها عميق شكره لسمو أمير البلاد على جهوده المستمرة لدعم الثقافة والفنون في الوطن العربي كما قدم عميق امتنانه لوزارة الثقافة ممثلة في سعادة الدكتور حمد بن عبد العزيز الكواري، وسعادة الأمين العام السيد خلف بن ناصر آل خليفة، وشكر كذاك فرقة الاناشيد العربية الوطنية على هذه اللفتة العربية وهي إحياء ذكرى الاخوين فليفل.

صحيفة الراية القطرية ١ أيار ٢٠١٠


برعاية وحضور معالي وزير الثقافة
الأستاذ ريمون عريجي
بدعوتكم لحضور الحفل الموسيقي الذي يقام تكريماً
للأخوين فليفل بمناسبة صدور كتاب:
اللحن الثائر
للكاتبين: الباحث محمد كريّم والعميد جورج حرّو
تحي الحفل الأوركسترا الوطنية بقيادة العميد المتقاعد جورج حرّو
يجري توقيع الكتاب في نهاية الاحتفال
المكان: قصر الأونيسكو - بيروت
الزمان: الساعة السابعة من مساء السبت الواقع فيه ١١ تشرين الأول ٢٠١٤
للمزيد من المعلومات: ٠١٣ ١٤١ ٧٦ أو بالمراسلة على العنوان التالي: mail@irabmusic.com


سيرة الأخوين فليفل
اللحن الثائر
الباحث محمد كريّم
العميد د. جورج حرّو

برعاية وحضور وزير الثقافة ريمون عريجي أقامت جمعية "عِرَب - جمعية عربية للموسيقى" بتاريخ ١١ تشرين الأول ٢٠١٤، حفل تكريم للأخوين فليفل وذلك في قصر اليونيسكو.

وأحيت الحفل الأوركسترا الوطنية بقيادة العميد جورج حرو، بمشاركة كورال تلامذة "فينكس إنترناشونال سكول" حارة حريك، "كلية خالد بن الوليد" المقاصد، و"رعية مار جرجس" الدكوانة، وساهم في الاحتفال نقابة الموسيقيين المحترفين، وموسيقى الجيش اللبناني.

وكان توقيع لكتاب "اللحن الثائر" الذي وضعه الباحث محمد كريّم، كما كان هناك معرض صور للأخوين فليفل.

كلمة جمعية "عِرب"، ألقاها مقدم الحفل الأستاذ عدنان مناصفي

نحن اليوم ها هنا في حضرة الفن والأدب، في ضيافة أهل الوفاء وعشاق الأصالة وما أندرها اليوم، نلتقي لنفتح ديوان بيروت الفني، بل ديوان لبنان والعرب أجمعين، نلتقي، نعم، لنتنسَّم عبيرَ تلك الأيام التي مضت وانضوت وانطوت مظلومة لا ظالمة، ظلمها غبار السنين الطويلة، لكن وهجها يعود اليوم مُنبثقاً بهمّة الأوفياء، فتُفَح صفحات وصفحات اشتاق إليها معاصروها، ودبّت الحاجة مُلحّة في قلوب الأجيال الطالعة لأن يعرفوا من هم أولئك الذين طبعوا جبين بيروت ولبنان والعالم العربي، بآيات الفن الراقي كلمة هادرة وألحان ثائرة، من هم هما الأخوان الضابط المتقاعد محمد سليم فليفل والمقدم أحمد فليفل .

رئيس بلدية بيروت بلال حمد

يُسعدني ويطيب لي أن نكون معاً في هذه الأمسية الجميلة بمناسبة صدور كتاب "اللحن الثائر" الذي يحكي لنا بمنهجية دقيقة وأسلوب رائع سيرة الأخوين فليفل، والذي يُعتبر بحق أصدق تعبير وأفضل تكريم لكبيرين من من لبنان، من بيروت، رفعا اسم الوطن عالياً وأصرّا في مسيرتهما على أن تكون راية لبنان الخفّاقة نغماً وموسيقى تشعل النفوس محبة وحماساً وطرباً، بدلاً من أن تكون رايته بندقية وحروبا تعصف بالبشر والحجر.

من الأشرفية حي بيضون، انطلق هذان العملاقان يزرعان الدروب أغانٍ وأناشيد وطنية خلّدتهما، وخلّدت وطن الأرز فزادت على الجمال جمالاً، وارتقت وسمت ألحان تلك الأناشيد الوطنية كي تصبح درباً إلى العالم العربي الذي احتضن الأخوين فليفل ويسّر لهما كل السبل إلى النجاح.

كلمة آل فليفل، الآنسة لمى جمال فليفل

يُسعدني أن أرحب بكم باسم آل فليفل إلى هذا الحفل التكريمي الذي أردناه جامعاً لأصدقاء الأخوين المبدعين محمد وأحمد فليفل واللبنانيين كافة، لنستذكر معاً في هذه الأمسية السعيدة بعضاً من عطائهما الموسيقي الوطني الذي غمر لبنان ودنيا العرب.

إن الأخوين المبدعين إن انتميا الى عائلة فليفل، وهذا فخر لها ولا شك، إلا أنهما بما قدماه للبنان وللعالم العربي من نفحات وطنية خالصة، وبما غذّيا به الذائقة الفنية للأجيال المتعاقبة، أصبحا ينتميان إلى كل العائلات اللبنانية، او بالأحرى أصبحت كل

العائلات اللبنانية تنتمي إليهما، إذ بات لهما في كل بيت وفي كل مدينة وفي كل قرية في لبنان، تلامذة وأصدقاء.

وإذا كان الأخوان فليفل قدّما فنهما مدنياً وعسكرياً وتربوياً في سبيل خدمة وطنهما، ومن أجل تنشئة أجياله التنشئة الصالحة، فإن مؤسسات المجتمع الوطني الأهلي بادلتهما حباً بحب، ووداً بود، كبادرة وفاء واعتراف بالجميل، لمن زرع حب الوطن في النفوس، ورَفَع راية لبنان عالياً في سماء البلاد العربية.

لشدّة ما أفتخر برباط القربى الذي يربطني بالأخوين فليفل، ولشدة ما أعتز بما قدّماه جدّاي من إنجازات كان حافزاً لرصّ الصفوف، التي تبرز الاعتزاز بالوطن، والاعتداد بأمجاده "موطني صرح النسور نفتديه بالصدور، أرزه العالي الجسور قد بلا كرّ العصور، يا بلادي جندنا من أمانيك يذود، يا بلادي كلّنا في الملمّات أسود...".

وها نحن ما زلنا حتى اليوم نسمع صدى نشيدهما الخالد تردده الشعوب العربية كافة في مناسباتها الوطنية، "موطني الجلال والجمال والثناء والبهاء في رباك، هل أراك في علاك تبلغ السماء موطني ...".

شكراً للحضور ولكل من ساهم في إعداد وتقديم هذا الحفل.

نقيب الموسيقيين المحترفين سعد صعب

ما هو سر الأخوين فليفل؟ ولد الأخوان فليفل في مطلع القرن الماضي في بيروت، وقد ورثا الموهبة الفنية من والديهما، وصقلا موهبتهما بالعلم والميراث، ساعدهما في ذلك دعم الأهل، ووجودهما في بيئة يسودها التعايش والانفتاح وتلاقي الحضارات.

هما مربيان بالفطرة كرّسا حياتهما لتربية وتنشئة الاطفال وتوجيه الشباب بموسيقى الفرح، وكانا رسولي خير وسلام ومحبة ر لوطنهما. لم يعملا أبداً منفردين فهذين الرائدين أحاطا نفسيهما دائما بما قدر لهما من طلاب الفن والمعرفة منذ أسسا فرقة موسيقى الأفراح الوطنية النحاسية حيث كانت تصدح بالموسيقى الجميلة، وبعدها موسيقى قوى الأمن الداخلي، والكشاف، وعلى خطاهما نشأت لاحقاً موسيقى الجيش وفرق الموسيقى النحاسية في مختلف المدن والبلدات اللبنانية.

الأخوان فليفل مناضلان في سبيل الحرية والاستقلال، وساهما في بث روح الوطنية والحرية والفخر والأباء. كانا فاعلين في جميع مجالات التربية الموسيقية في الاذاعة والمعهد الموسيقي والموسيقى العسكرية، وفي المدارس والجمعيات وفي مختلف الحفلات.

عملا بكل إخلاص ومن دون كلل للبنان وللحرية وللكرامة القومية على امتداد الوطن العربي. هما خالدان بتراثهما الموسيقي الجميل الذي خاطبا به الاطفال والشباب والاحزاب والاوطان، بأرقى الكلام من كبار الشعراء.

وزير الثقافة ريمون عريجي

أقف اليوم متحدثاً إليكم تحت سقف هذا القصر الذي شيّده لبنان عام ١٩٤٨ لاستقبال وفود "مؤتمر الأونيسكو الثالث"، وكان المكان يومئذ عبارة عن ثكنة عسكرية مزروعة في الرمل والشوك، وقد تمكن المشرفون على اقامة المبنى من إنجازه بسرعة غير معتادة في بلادنا، ومن إنشاء قاعات تليق باستقبال الوفود المشاركة، ومنذ ذلك الحين وقصر الأونيسكو يقوم بوظيفته محتضناً الأنشطة بحرارة لم يدركها يوماً فتور أو يشوبها تقاعس. الاّ أن مرور الزمن وتوالي الاحداث المعكّرة للاهتمام الرسمي، حالا دون الاعتناء به وصيانته بشكل مستمر، ما أثر على وضعه المادي وعلى مهمته، لذلك تعمل وزارة الثقافة جاهدة من اجل إطلاق مشروع ترميم هذا القصر، لتعيد له رونقه، وتزوده بأحدث التقنيات ليواكب بها عصرنا هذا.

يسعدني أن أكون معكم في هذه اللحظات المغمورة بأناشيد الأخوين محمد وأحمد فليفل، المُنتشية بألحانهما، والمحاكية برحابتها رحابة لبنان العزيز ووسع صدرها المفتوح على هذا الوطن، وهي إذ تُستعاد فبمناسبة صدور كتاب عنهما يتناول سيرتهما المشتركة وإسهامهما البارز في إطلاق الحركة الموسيقية اللبنانية، جنباً إلى جنب وديع صبرا، ومتري المر، والأب بولس الأشقر، وعمر الزعني، وسليم الحلو، واسكندر شلفون، وسواهم من جيل المؤسسين الذين تمردوا على هيمنة الفن المستورد، ساعين إلى بلورة الطابع الموسيقي الوطني اللبناني، قبل أن يلحقهم جيل ثانٍ، عمل على إرساء قواعد جديدة للأغنية اللبنانية.

وقد كان ذلك يتم بالتزامن مع الاندفاع إلى التحرر من الحكم الأجنبي، ما جعل الأخوان فليفل يعكسان في توجههما الموسيقي

العام، الطابع الوطني، الذي وسم أعمالهما الفنية من اغانٍ واناشيد وطنية ومدرسية ومارشات عسكرية، كما وسم سعيهما الدؤوب لتأسيس فرق موسيقية وكشفية خلال المرحلة الاستقلالية وما تلاها.

وقد تجاوز الأخوان فليفل بأناشيدهما حدود لبنان إلى الشرق العربي، ووضعا السلام الرسمي لكل من دول سوريا واليمن الجنوبية وليبيا في حينها والعراق، الى هذا كله يتعيّن علينا أن نعترف بفضلهما لأنهما كانا أول من جاء بمطربتنا الخارقة وسفيرتنا إلى النجوم السيدة فيروز إلى الإذاعة اللبنانية عام ١٩٥٠، وهناك استرعت انتباه حليم الرومي بأدائها المميز، ومن ثم انتباه عاصي الرحباني، وكان ما كان مما تعرفون.

في الختام، أتقدم بالشكر من الدكتور محمد كريّم، والعميد المتقاعد الدكتور جورج حرو، مؤلفي كتاب "اللحن الثائر" لأنهما بعملهما المشترك وجّها تحية إلى هذين المبدعين اللبنانيين الذين اللذين ثارا على الانتداب، عن طريق بث الحماسة في الصدور، إيماناً منهما بلبنان الحر المستقل، لبنان العيش المشترك. والشكر أيضا لجمعية "عِرب" لإرفاقها الكتاب بأسطوانات مُدمجة، تضم أناشيد الأخوين فليفل، وبالتالي حفظها لهذا المجهود الموسيقي الوطني ووضعه في متناول الجميع. وتحية للأوركسترا الوطنية للأداء الذي ستقدمه في هذه الأمسية المميزة وللكورس المرافق. ونوجه جميعاً التحية للجيش اللبناني والقوى الأمنية لتصديهم بإباء وصلابة للهجمة الإرهابية والظلامية الهادفة إلى الغاء لبنان الوطن ورسالة الاعتدال والعيش الواحد وزرع الفتنة بين أبنائه.

عاش لبنان، وشكراً.

Lebanese American University

الجامعة اللبنانية الأميركية

نَـتَـذَكَّـر الأَخَـوَين فلَـيفِل



الضابط محمد فليفل



المقدم احمد فليفل

"سيكونُ لأَنَاشيدِكُما أَثَرُها الجميلُ في نفوس الناشئة اللبنانية وتوجيهِها نحو أَهدافِ لبنان العزيز المستقِلّ الحُر".

الرئيس بشارة الخوري

"النَّشْءُ الجديدُ في حاجةٍ ماسّة إلى موسيقاكُما الحماسيّة التي تُهَذِّب ذوقَه وتَسمو بطبائعِه وتُرْهِفُ أَحاسيسَه".

الرئيس رياض الصلح

في افتتاح الموسم الثقافي الجديد ٢٠١٤ – ٢٠١٥

ولأَنّ تراثَنا الموسيقيّ رائدٌ وطليعيّ

مركزُ التراث اللبناني

في

الجامعة اللبنانية الأَميركية (LAU)

يَدعُوكُم إلى لقاءٍ خاصّ كَيْ

نـتـذَكَّـر الأَخَـوَين فلـيـفل

"انتشرَت أَناشيدُ الأَخَوَين فليفل الوطنيةُ في كلّ لبنان، فتَداوَلَها المُجتمعُ الأَهليّ، وعلَّمَتْها المدارسُ لتلامذتِها فأَخذُوا يُنشِدونَها في المناسبات الوطنية والتربوية، لِما فيها من غاياتٍ ساميةٍ تَرمي إلى تَوثيق التآخي الوطنيّ وتَرقيةِ العواطف". (جريدة "لسان الحال" – ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٥)

يُشارك في اللقاء:

المُخرج محمد كريِّم : الأَخَوَان فليفِل ... سِيرةً و نِتاجاً

الدكتور أَمين فرشُوخ : أَبعادُ أَناشيدِهِما... تَربوياً، اجتماعياً، وطنياً

الفنان أَحمد قعبور : قراءة موسيقية في نتاجِهما مع نماذج بالصوت

يَفتَتِح اللقاءَ ويُديرُ مداخَلاتِه ومحاوَراتِه مُديرُ المركز

الشاعر هنري زغيب

الساعة ٦:٠٠ مساءَ الاثنين أَول كانون الأَوّل ٢٠١٤

القاعة ٩٠٤ – كُلِّيَّة الإدارة والأَعمال – مبنى الجامعة الجديد – الطابق الأَرضي

قريطم – بيروت

مركز التراث اللبناني يتذَكّر الأَخَـوَيـن فـلـيـفـل

افتتح "مركز التراث اللبناني" في الجامعة اللبنانية الأَميركية، بتاريخ أول كانون الأول ٢٠١٤، موسمه الجديد بلقاءٍ عن الأخوين فليفل، شارك فيه الباحثان أمين فرشوخ ومحمد كريِّم والفنان أحمد قعبور، في حضور ممثّل الوزير محمد المشنوق السيد يوسف دوغان، محافظ جبل لبنان فؤاد فليفل وأبناء محمد فليفل: حسّان وجمال وأُسامة، ورئيس الجامعة الدكتور جوزف جبرا والوزير السابق محمد يوسف بيضون ورئيس جمعية "عِرَب" باسل قاسم وحشد كثيف من قادري فنّ الأخوين.

افتتح اللقاء مدير المركز الشاعر هنري زغيب بكلمةٍ أعلنَ فيها برنامج الموسم الجديد وركّز على دور الأخوين فليفل ورسالتهما الموسيقية التي تخطّت العمل الموسيقي إلى النّهج التربوي والإنساني والوطني.

فرشوخ: نفتقدُ اليوم حسّهُما الوطنيّ

الدكتور أمين فرشوخ تحدّث عن أَبعاد أَنشيدِهِما تَربوياً، اجتماعياً، وطنياً، فذكر أنه تتلمَذ في دار المعلّمين على محمد فليفل وما تركه من أثر في نفوس طلاّبه: "كنتُ محظوظاً إذ درّسني الكبير محمد فليفل. كان يردّد كلمات أناشيده بفخر وثقة واعتزاز، فينقل إلينا أحاسيسه ونحن نرفع أصواتنا، نضجّ، نحرّك أيدينا مع اللحن، ونضرب بأقدامنا مع الإيقاع، فتدخل الكلمات في قلوبنا، لنتوحّد كلّنا طلاّباً من بيئات وأديان ومذاهب وطبقات وفئات ... ونكاد نخرج من أنفسنا لنسير وراء محمد فليفل، لو شاء، كي نقتلع البغض من قلوب آخرين، أو نزرع الحب في قلوب سواهم، أو لنقاتل في سبيل قضية الوطن، أو الاستقلال، أو العلم، أو البيئة،

أو الأم، أو الأرض، أو الجندي، أو الفدائي، أو الكشاف، أو المستقبل...".

وفي استخلاصه أنّ "ترداد الأناشيد يؤصل فينا المعاني السامية والأبعاد الأخلاقية، فنعيّد مع المسيحي ومع المسلم، ونشعر بأننا جميعاً مؤمنون وشركاء في الحياة، في الوطن، وبأننا نعيش معاً، فنكبر بلا إحساس بفروقات مانعة من التحاب، أو التواد...".

وختم فرشوخ بأننا اليوم "في حاجة ماسّة إلى ما يرسّخ هذه القِيَم والشعائر الوطنية في نفوس أطفالنا وشبابنا، نفتقد إليها في المناهج، وفي ذاكرة المسؤولين، وفي انتماء بعض المربين. أين التدريب العسكري الموحّد أو بديله التنموي الذي كان يساهم مع المتطوعين في خدمة كل المدن، وكل الأرياف اللبنانية، والذي نصّ عليه القانون، للطلاب الثانويين في كل لبنان؟ أين تدريس مادة التربية المدنية الذي كان معتمداً في الصفوف المتوسطة كما كنّا ندرسها؟".

كريِّم: ملامح من سيرة

الباحث المخرج محمد كريِّم تحدّث عن الأَخَوين فليفِل سِيرةً ونِتاجاً، وكيفَ "تجلى ولعهما المبكر بالموسيقى بما أبدياه من تعلق بالفرق الموسيقية العسكرية العثمانية التي كانت تجوب شوارع بيروت تعزف الألحان العسكرية، فينتظران مرورها من أمام منزلهما الأبوي بفرح ولهفة. ولم يكتفيا بهذه المتعة العابرة بل كانا يرافقان الفرق إلى منطقة السيوفي حيث تُعزف المقطوعات الموسيقية والمارشات العسكرية التركية. فأخذا يُلحّان على والدهما لاصطحابهما إلى الحدائق العامة في ضواحي بيروت، ليتمتّعا بما كانت تعزفه من ألحان في مواعيد ثابتة، يوميْ الجمعة

والأحد من كل أسبوع في منشية فرن الشباك وجنينة جسر الباشا في حضور المتصرف العثماني شخصياً".

وروى كريِّم كيف تحدّيا الظروف الصعبة وأسّسا فرقةً للأناشيد الوطنية باسم "فرقة موسيقى الأفراح الوطنية" راحت تطوف شوارع العاصمة في المناسبات الوطنية والأعياد الدينية. ثمّ أسّسا موسيقى الدّرك سنة ١٩٤٢ وانطلقا في كتابة وتلحين الأناشيد الوطنية والقومية إذ "وجدا نفسيهما منساقين بل مطالبين بضخ المزيد من أناشيدهما التي تذكي الروح الوطنية وتُعَبئها للوقوف في وجه الاحتلال، فعكفا على تلحين عدد كبير من الأناشيد الوطنية لشعراء كبار أمثال: الأخطل الصغير، ابراهيم طوقان، سعيد عقل، عمر أبو ريشة، معروف الرصافي، أمين تقي الدين، شبلي الملاط، سابا زريق، عبد الحليم الحجار وفخري البارودي".

قعبور: استشهادات صوتية

الفنان أحمد قعبور قدَّم قراءة موسيقية في نتاجِهما، شارحاً تقنية تلحين النشيد، وكيف اعتمد الأخوان فليفل التقطيع الصوتيّ الأجنبيّ وطبّقاهُ على ألحانهما العربية، فجاءا بالجديد الذي لم يكن مألوفاً. وفي أثناء حديثه أخذ الفنان قعبور يؤدّي بصوته نماذج موسيقيةً من أعمال الأخوين فليفل، وكيف بلغا فيها مرتبةً فريدةً من نوعها، بإمكان عزف ألحانهما على الإيقاع العسكريّ المعروف كما على الإيقاع الطربيّ العاديّ. وكان لاستشهادات أحمد قعبور الصوتية أثـرٌ جليٌّ في إيضاح فنّ الأخوين فليفل وتِقنيتهما الموسيقية، إلى جانب تأثيرهما في الناشئة من خلال أناشيدهما التربوية وبينها أناشيد مخصصة للأطفال.